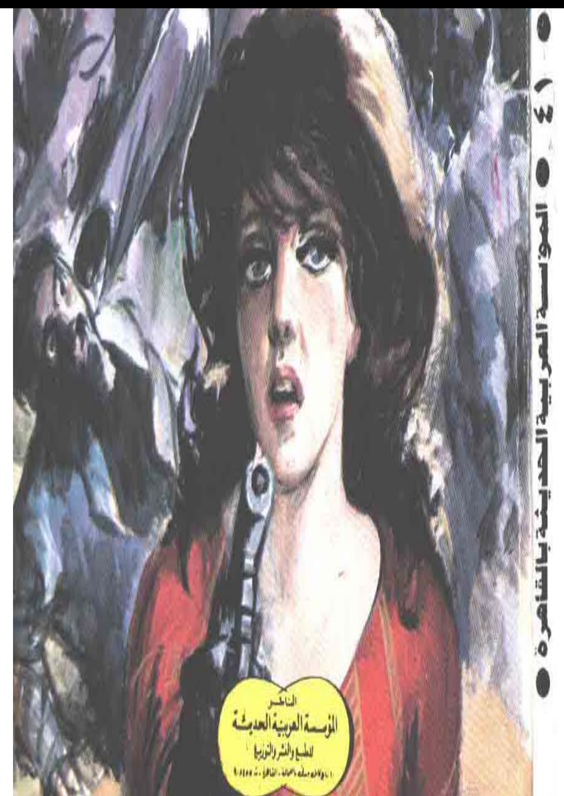




رجل المستحيل ● الانتحاريون ● ٤١ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
... للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة



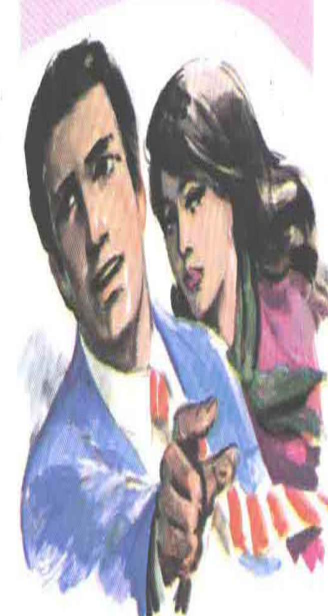
٤١

الثمن فى مصر
ـه

وما يعادل دولارًا
أمريكيا فى سائر
الدول العربية
والعالم

الانتحاريون

- ماهي منظمة (الأخطبوط) الجديدة التي أنشأها (الموساد)؟
- هل يتمكن (أدهم صبرى) من مواجهة ثلاثين من الانتحاريين دفعة واحدة؟
- تُرى .. لمن يكون النصر في عاصمة الضباب؟ أينتصر (أدهم) أم يبقى الانتحاريون؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: الهدف القاتل

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ أذرع الأخطبوط ..

عَبَرت سيارة (أدهم صبرى) الصغيرة بوابة مبنى المخابرات العامة المصرية ، فى ذلك الوقت المبكّر من أيام الشتاء قارصة البرودة ، حيث خلت الشوارع من المارّة ، عدا عدد قليل من السيارات التى أحكم ركّابها إغلاق نوافذها ، اتقاءً للبرد الشديد ..

ساحة مبنى المخابرات نفسها بدت فى عينى (أدهم) خاوية ، إلّا من رجل الأمن الذى يلفّ رقبته بكوفية صوفية ثقيلة ، والذى ألقى نظرة فاحصة مدققة على أوراق (أدهم) ، قبل أن يسمح له بالدخول ..

(أدهم) نفسه كان يرتدى معطفًا من الصوف ، ارتفعت ياقته لتخفى الجزء الأعظم من وجهه ، وبدا شديد الهدوء ، وهو يسأل رجل الأمن :

ــ هل المدير فى مكتبه ؟

أشار رجل الأمن برأسه نحو مبنى المخابرات المغرق فى الصمت والسكون ، وقال :

ــ إنه هنا منذ ساعة كاملة .

ابتسم (أدهم) وهو يعبر ساحة المبنى بخطواته السريعة الواسعة ، فقد كان يعلم أن قدوم مدير المخابرات إلى المبنى فى هذا الوقت المبكّر ، وفى ذلك الطقس الذى يدعو للانكماش تحت تلّ من الأغطية الصوفية ، يعنى بالضرورة وجود حدث خطير ، يحتاج إلى التحرُك العاجل ..

طرق (أدهم) باب حجرة مدير المخابرات ، وانتظر حتى جاءه الأمر بالدخول ، فدفع الباب ودلف إلى الداخل ..

أنعشه ذلك الدفء الذى يبثه مكيّف الهواء فى حجرة المدير ، فنزع معطفه الثقيل ، وهو يقول :

ــ العقيد (أدهم صبرى) فى خدمتك يا سيّدى .

لم يكن مدير المخابرات وحده فى الحجرة ، كان برفقته نائبه (صفوان) ، الذى اشتهر فى أوساط الإدارة بأنه صاحب عقل ينافس أعظم أجهزة الكمبيوتر ، من حيث غزارة المعلومات ، وحسن تنسيقها ، والعثور عليها عند الحاجة ، وكان كلاهما يقف أمام خريطة العالم الضخمة ، التى تحتل حائطًا بأكمله من حجرة المدير ..

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) أن يتقدّم وهو يقول :

ــ هلُمّ يا (ن ــ ١) .. اشترك معنا فى دراسة هذا الأمر .

اقترب (أدهم) من الخريطة الضخمة ، وانعقدت عيناه المدربتين بخمس نقاط ، أشير إليهما فوق الخريطة بأقراص حمراء صغيرة ، فغمغم فى خفوت :

ــ أى أمر هذا يا سيّدى ؟

كان العميد (صفوان) هو الذى أجاب ، قائلًا :

ــ وصلنا منذ ثلاث ساعات تقرير بالغ الخطورة من أهم عملائنا فى إحدى الدول التى نتخذ منها جانب الحذر يا (ن ــ ١) .. ويشير هذا التقرير إلى أن (الموساد) قد أنشأ جهازًا جديدًا أطلق عليه اسم (الأخطبوط) ، مكوّنًا من ستة أفراد ، تقتصر مهمتهم على القتل .

تمتم (أدهم) وهو يعقد حاجبيه :

ــ القتل ؟!

أجابه مدير المخابرات :

ــ نعم يا (ن ــ ١) .. القتل .. فمهمة هذا الجهاز هى التخلُص من كل من أساءُوا إلى دولة (الموساد) ، أو هى عملية انتقامية بالدرجة الأولى .

بدت الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ــ ولكن العمليات الانتقامية تكاد تكون محدودة فى عالم

المخابرات يا سيّدى ، إذ أنه من العبث استهلاك عميل مدرَّب فى عملية قتل .

أومأ مدير المخابرات برأسه موافقًا ، وقال :

ــ هذا صحيح يا (ن ــ ١) ، ولكن تلك الدولة تبنّت أسلوب الانتقام منذ بدايتها ، فى محاولة منها لإشاعة الذُّعر فى قلب كل من يحاول المساس بها ، ولعلك تذكر تلك المجموعة من الاغتيالات ، التى قاموا بها فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، للانتقام ممن تبقَّى من النازيين .

رفَّت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

ــ وممَّن ينوى (الأخطبوط) الانتقام هذه المرة ؟

جاءت إجابة العميد (صفوان) مخيفة ، وهو يقول فى صوت أشد برودة من الطقس :

ــ من عملائنا يا (ن ــ ١) .

بدا الاستياء والتساؤل فى عينى (أدهم) ، فقال مدير المخابرات موضِّحًا :

ــ أنت تعلم يا (أدهم) ، أن عمل المخابرات يعتمد على الضباط العاملين فى الجهاز ، والعملاء الذين يتم تجنيدهم لصالحه ، وهؤلاء العملاء ينقسمون إلى نوعين ، فهم إمّا وطنيون

يتم الاستعانة بهم لأداء أدوار محدودة ، أو أفراد من وسط العدوّ نفسه ، وبالنسبة إلى الجواسيس من موطن العدوّ ، فإن مكافأتهم تقتصر على المال ، أما مواطنونا الذين عرَّضوا أنفسهم للخطر والموت فى سبيل الوطن ، فإننا نكافئهم بوظائف مرموقة ومستقبل مضمون (*) ، وهؤلاء هم من يبغى (الموساد) الانتقام منهم .

التقط العميد (صفوان) طرف الحديث ، وواصله قائلًا :

ــ والعملاء المستهدفون بالقتل هم خمسة ، من أشجع من عاون جهاز المخابرات المصرية منذ إنشائه ، وكل منهم يشغل منصب الملحق الإعلامى فى واحدة من الدول الآتية : (موسكو) ، و (واشنطن) ، و (باريس) ، و (روما) ، و (مدريد) .

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ــ إنها خمس نقاط متباعدة للغاية .

وافقه مدير المخابرات بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ كان يمكننا استدعاء ملحقينا الإعلاميين الخمسة

(*) هذا ما يتم بالفعل .

إلى القاهرة يا (ن ــ ١) ، ولكن هذا العمل سيفقدنا أهم عملائنا فى قلب (الموساد) ، فسيتطرّق إليه الشك فور اتخاذنا أيّة خطوة تشير إلى معرفتنا بالأمر ، ولا يمكننا المخاطرة بخسارة مثل هذا العميل ، فلقد نجح فى احتلال مركز مرموق وسط جهاز (الموساد) ، ومن المستحيل تعويضه .. ثم إن (الأخطبوط) سيواصل مدّ أذرعه لاصطياد ضحايا آخرين .

قال العميد (صفوان) :

ــ هذا الجهاز المسمى بـ (الأخطبوط) يضمّ مجموعة من الانتحاريين يا (ن ــ ١) .. ولقد تم تنظيمه بوسيلة غاية فى التعقيد ، فلا أحد من أفراده يعلم شيئًا عن الآخرين ، وهذا يقى الجهاز الفشل فى حالة وقوع أحد أفراده .. وهم لا يعلمون حتى الأفراد المراد اغتيالهم ، ولكنهم يتلقّون أوامرهم من مكان مجهول ، عجز عملينا عن التوصُّل إليه ؛ حيث إنهم يحيطونه بالسرّيّة البالغة ، ويتم الأمر بحيث تصل الأوامر إلى الانتحارىّ عن طريق البريد التليفونى (*) ، متضمّنةً كل المعلومات والصور عن الشخص المراد التخلُّص منه ، ولا تفرض عليه خطَّة بعينها ،

(*) البريد التليفونى : هو نظام حديث يتم فيه نقل الصور والأوراق والمستندات عن طريق أسلاك الهاتف ، وهو يستخدم فى مصر منذ أواخر عام (١٩٨٥) باسم البريد السريع .

ولكن عليه الانتهاء من أداء مهمته فى ثلاثة أيام لا غير .. ولقد صدرت الأوامر بالفعل فى الرابعة والنصف من صباح اليوم .

رفع (أدهم) حاجبيه فى جزع ، فقال مدير المخابرات :

ــ إن مهمتك مستحيلة بحقٍّ هذه المرّة يا (ن ــ ١) ، ولكننا سنحاول معاونتك بكل ما لدينا من إمكانات .

قال العميد (صفوان) ، وكأنه يتابع حديث مدير المخابرات .

ــ لقد طلبنا من ملحقينا الإعلاميين الخمسة ، عدم مغادرة سفاراتهم طوال الأيام الثلاثة القادمة ، وسيكون عليك إنهاء المهمة فى هذه المهلة لا غير .

صمت (أدهم) لحظة وهو يعقد حاجبيه ، ثم غمغم :

ــ مهما بلغت مهارتى ، فلن يمكننى العمل فى خمس دول دفعة واحدة يا سيِّدى .. إن الانتقال بينها يحتاج إلى أكثر من هذه المهلة .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال له مدير المخابرات فى لهجة صارمة حازمة :

ــ من الصعب قطع أذرع (الأخطبوط) كلها يا (ن ــ ١) ، ولكن الوسيلة الوحيدة لمنعها من الامتداد ، وهى تحطيم رأس (الأخطبوط) ، وهذه هى مهمتك .

تألق الحماس فى عينى (أدهم) ، وبدت ابتسامته واثقة هادئة ، وهو يقول :

ــ سأحطِّمها ياسيِّدى ، وسأمزِّق فريق الانتحاريين هذا .

ثم أردف وقد تحوَّلت ابتسامته إلى السخرية :

ــ هذا وعد .

* * *



٢ ــ رحلة إلى الرأس ..

ــ ثلاثة أيام ؟!.. هذا مستحيل !!

هكذا هتفت النقيب (منى توفيق) ، حينما شرح لها (أدهم) الأمر فى الطائرة ، ودفعه هتافها إلى الابتسام فى سخرية ، قائلاً :

ــ لِمَ لا تشرحين الأمر كله لركاب الطائرة ياعزيزتى ؟

تضرَّج وجهها بحُمرة الخجل ، فهمست فى حنق :

ــ دَعْنا من سخريتك الآن ، وأخبرنى .. ألا تظن أن المهلة الممنوحة لنا لا تكفى حتى لكشف مركز قيادة (الأخطبوط) .

هزَّ كتفيه وكأنما الأمر لا يعنيه ، وقال :

ــ علينا أن نحاول ياعزيزتى .. ولا شك أن رجالنا لم يمزحوا حينما توقَّعوا أن يكون رأس (الأخطبوط) فى (لندن) .

مطَّت شفتيها ، وهى تسأله :

ــ ولماذا (لندن) بالذات ؟

خفض صوته وهو يقول :

ــ لقد قدَّر خبراؤنا أن مركز قيادة الانتحاريين لن يكون فى واحدة من البلدان المطلوب منهم اغتيال عملائنا فيها ، وأنه سيكون فى إحدى الدول التى يتمتع أفرادها بحرية كبيرة مع قدر ضئيل من الرقابة ، وهذا يتوافر إلى أقصى درجة فى (لندن) .. كما أنها تزدحم بالشرقيين ، مما يتيح لزعيم جهاز (الأخطبوط) الاندماج فى أوساطها بسهولة .

قالت فى حنق :

ــ ولِمَ لا يكون هذا المركز فى (ألمانيا) مثلاً ، أو (هولندا) ؟

عقد حاجبيه مفكِّرًا ، وهو يقول :

ــ الوقت لا يكفى للعمل فى هذه البلدان فى آن واحد ياعزيزتى .. ولقد درس خبراؤنا الأمر طوال عشر ساعات متواصلة قبل أن يقرِّروا ذلك .

غمغمت وهى تسترخى فى مقعدها فجأة :

ــ إننى أثق فى تقديرات خبرائنا .

ابتسم وهو يجيبها ، قائلاً :

ــ وأنا أيضًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت مضيفة الطائرة ، تطلب من ركابها ربط أحزمتهم ، والامتناع عن التدخين ، فابتسم (أدهم) ، وقال فى لهجة عابثة :

ــ مرحى ياعزيزتى .. ها قد بدأ الصراع ، وسيكون علينا بتر أذرع (الأخطبوط) ، ومواجهة زمرة من المحترفين دفعة واحدة .

* * *

تطلَّعت (منى توفيق)، من خلف زجاج نافذة حجرتها بالفندق ، إلى الثلوج المتساقطة على (لندن) عاصمة الضباب ، وقالت دون أن تلتفت إلى (أدهم) :

ــ هناك شىء لم أفهمه بعد فى هذه المهمة .

سألها (أدهم) ، وهو يفحص خريطة كبيرة لمدينة (لندن) :

ــ ما هو ؟

استدارت إليه فى بطء ، وقالت :

ــ لقد بذلت مخابراتنا جهدًا كبيرًا لتوحى بمقتلك(*) .. ثم هأنتذا تفسد كل ذلك بقدومك إلى (لندن)، دون أن تحاول تبديل ملامحك ، فهل لك أن تفسِّر لى ذلك ؟

رفع (أدهم) رأسه عن الخريطة التى يطالعها ، وتأمَّلها لحظة ، ثم قال :

(*) راجع قصة (مهنتى القتل) .. المغامرة رقم (٤٠) .

ــ إننا نبحث عن إبرة فى كومة من القش يا عزيزتى ، وليس لدينا ما يكفى من الوقت ، وهذا يعنى أنه علينا أن ندفع خصومنا للتحرُّك أولًا ، حتى يمكننا تعقُّبهم بعد ذلك ، والأسلوب الأمْثل لدفعهم إلى إهمال الحذر ، هو مفاجأة ترجُّهم من الأعماق .

ابتسمت حينًا فهمتِ الأمر ، وقالت :

ــ مخابراتنا تعتمد إذن على عامل المفاجأة .

أجابها فى جدِّيَة :

ــ هذا صحيح يا عزيزتى ، سيذهلهم وجودى على قيد الحياة ، حتى أنهم سيرتبكون ، ويتخبَّطون ، ويحاولون التخلُّص منّى .

تابعت وكأنها تقرأ أفكاره :

ــ وهنا يتحوَّل الصَّيد إلى صياد و ....

(طرقعت) إصبعيها فى حركة تفسر ما تقصد ، فابتسم (أدهم) وقال :

ــ تمامًا يا عزيزتى .

ثم مال نحوها ، وهو يقول فى جدِّيَة :

ــ والآن هل لديك ثقاب ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى دهشة :

ــ ثقاب ؟.. لماذا ؟

ابتسم وهو يستند فى استرخاء إلى ظهر مقعده ، قائلًا :

ــ يا له من سؤال يا عزيزتى !!.. إننى أحتاج إليه لإشعال النار فى الفندق بالطبع .

صرخت وقد بلغت دهشتها الذروة :

ــ تحرق الفندق ؟!

ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ بلا شك يا عزيزتى .. هذا هو أسهل أسلوب لنيل الشهرة فى بلد مثل (لندن) .

* * *

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السابعة مساءً بعد ، عندما ارتفع صراخ (منى توفيق) يرجّ أركان الفندق الفخم ، وارتجف النزلاء عندما ميَّزوا صراخها الذى يقول :

ــ النار !! النار ستلتهم الفندق !! النجدة !!

ومع صراخها تنبَّه الجميع إلى رائحة الدخان التى تتصاعد من الطابق الثالث ، وساد الهرج والمرج ، وتدافع الجميع إلَّا رجلًا واحدًا ، صرخ فيهم بصوت كالعاصفة :

ــ لا تخشوا شيئًا .. لن تمتد إلينا النيران .

التفتت الأعين كلها إلى الرجل الوسيم ، المشوق القوام ، الذى نطق هذه العبارة ، والذى اختطف أنبوب إطفاء الحريق من ردهة الفندق ، وانطلق يرقَى درجات سُلَّمه وثبًا فى مهارة ورشاقة حتى الطابق الثالث ..

لم يكن الحريق الذى افتعله (أدهم) خطيرًا ، ولكن أنظار الجميع التفت عنده فى إعجاب ، حينما نجح فى السيطرة عليه وحده بطريقة مسرحية واضحة ، وفى سرعة لم تسمح لأى شخص آخر بمشاركته .. والتفّ حوله روَّاد الفندق يهنئونه ويصافحونه فى إعجاب وانبهار ، ووسط كل هذا الجمع لمع بريق جهاز ضوئى لأحد أجهزة التصوير ، وتنبَّه الجميع إلى وجود بعض رجال الصحافة وسط الحاضرين ، وسأل أحد روَّاد الفندق حامل آلة التصوير فى دهشة :

ــ يا إلهى !! كيف نجحتم فى الوصول بهذه السرعة ؟

مطَّ المصوِّر شفتيه ، وهزَّ كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ الأمر يدهشنى مثلك يا سيِّدى .. ولكننا تلقينا مكالمة هاتفية منذ ساعة واحدة ، يقول صاحبها المجهول : إن حدثًا خطيرًا سيهدِّد الفندق ، فأسرعنا إلى هنا لتغطية الحادث .

عقد صاحب السؤال حاجبيه ، وغمغم :

ــ مكالمة هاتفية ؟!

ثم عاد يتأمَّل (أدهم) ، وقد نبت الشك فى ملامحه ، وهو يستطرد :

ــ إننى أتساءل عن صاحبها .

ولم يكن مخطئًا ...

* * *



٣ ــ عيون الأخطبوط ..

توقَّف انهمار الثلج فى الصباح التالى ، وأشرقت الشمس فى واحدة من المرات شديدة الندرة على مدينة (لندن) ، ووقفت فتاة باهرة الحسن ، رائعة الجمال فى شرفة منزل من أحد منازل الأحياء الراقية فى مدينة الضباب ، تتمتع بأشعة الشمس ، التى لا تدوم طويلًا فى سماء العاصمة البريطانية ، وهى تدخِّن سيجارة رفيعة ، وتنفث دخانها فى متعة وراحة ..

دعونا نقترب من صاحبة ذلك الوجه الجميل ، إن ملامحها تبدو لنا مألوفة .. فلنقترب إذن أكثر ..

إنها واحدة من قائمة تضمّ أخطر أفراد المخابرات فى العالم أجمع .. إنها فتاة (الموساد) التى نعرفها باسم (سونيا جراهام) ..

كانت (سونيا) تتمتَّع بدفء الشمس ، على حين انهمك أحد رجالها فى مطالعة أشهر الصحف البريطانية وأوسعها انتشارًا ، وفجأة .. قفز الرجل من مقعده كمن لدغته عقرب ، وصرخ بالعبريَّة :

ــ يا للشيطان !!

عقدت (سونيا) حاجبيها الجميلين ، واستدارت إليه قائلة فى غضب :

ــ ماذا أصابك حتى تتحدَّث بالعبريَّة يا (دزرائيل) ؟

لوَّح (دزرائيل) بالصحيفة ، وهو يهتف فى جزع :

ــ لقد شبَّ حريق أمس فى فندق (ريتز) .

مطَّت شفتيها فى حنق ، وقالت :

ــ فليذهب الفندق بأكمله إلى الجحيم .

صاح (دزرائيل) :

ــ الفندق لا يعنينى ، ولكن ما أدهشنى هو ذلك البطل الذى تتحدَّث عنه الصحيفة ، والذى نجح فى إطفاء الحريق ، وإنقاذ الفندق .

ناولها الصحيفة ، فاختطفتها فى لهفة .. ولم تكد تلقى نظرة على الصورة التى تزيِّن التحقيق ، حتى شحب وجهها ، وغمغمت فى ذهول :

ــ هذا مستحيل .

كانت الصورة تحمل وجه (أدهم) واضحًا وسط روَّاد الفندق ، الذين يهنئونه بالعمل البطولىّ الذى قام به ، وأسفلها

كتب المحرِّر أن هذا البطل مصرى الجنسية ، يحمل اسم (أدهم صبرى) ، مما أثار موجة عاتية من الغضب فى قلب (سونيا) ، فطوَّحت بالصحيفة عَبْر النافذة ، وصرخت فى هستيرية :

ــ تبًّا لهذا الرجل .. كم روحًا يملك ؟

قلب (دزرائيل) كفَّيه ، وقال ولم يفارقه الذهول بعد :

ــ كنت قد ظننت أننا نجحنا فى التخلُّص منه فى (لاس فيجاس) .

غمغمت فى غضب :

ــ هذا ما كنت أظنه أنا أيضًا .. ولكن يبدو أن هذا الشيطان المصرى محصَّن ضد الموت .

صاح (دزرائيل) فى توتُّر :

ــ علينا أن نبلغ القيادة على الفور .. لقد أغلقوا ملفَّه فى المرَّة الأخيرة .

لم تجبه (سونيا) ، إذ كانت فى هذه اللحظة تعقد حاجبيها ، وقد انعكست على ملامحها دلائل التفكير العميق ، مما حدا بـ (دزرائيل) إلى أن يكرِّر سؤاله ، قائلًا :

ــ هل نبلغ القيادة يا سيِّدتى ؟

أدهشه أنها لم تجب عن سؤاله ، وإنما غمغمت فى لهجة تنم عن التفكير :

ــ لماذا يتعمَّد الظهور هكذا إذن ؟

سألها (دزرائيل) فى حَيْرة :

ــ ماذا تعنين ؟

استدارت إليه ، وقالت فى لهجة بطيئة ، وكأنها تحادث نفسها :

ــ لقد تكبَّدت المخابرات المصرية كثيرًا لتوهمنا بمصرعه .. فكيف يفسد هو تدبيرها كله بحركة حمقاء كهذه ؟

هزَّ (دزرائيل) كتفه ، وقال :

ــ ربما لم يكن يتوقَّع أن ....

قاطعته فى حِدَّة :

ــ ويستخدم اسمه الأصلى ؟!.. كلَّا أيها الغبىّ .. ليس (أدهم صبرى) من يرتكب مثل هذه الحماقة .

وعادت ملامحها تنمّ عن عمق التفكير ، وهى تغمغم :

ــ هناك سرٌّ وراء هذا .. لقد تعمَّد هذا الظهور .

سألها (دزرائيل) فى جزع :

ــ هل يعلم عن (الأخطبوط) ؟

لوَّحت بكفِّها فى عصبية ، وقالت :

ــ هذا مستحيل .. لقد أتى فى شأن آخر ولا ريب .

ثم تابعت وهى تبتسم فى شراسة :

ـــ ولكننى سأفيد من الفرصة .

وتبدلت لهجتها وهى تسأل (دزرائيل) :

ـــ كم رجلاً لدينا فى لندن ؟

عقد حاجبيه مفكرًا ، وقال :

ـــ لدينا هنا ثلاثة انتحاريين يا سيدة (سونيا) ، ولكننا لم نوجه إليهم أية أوامر بعد .

ابتسمت فى شراسة ، وهى تقول :

ـــ سيتلقون أوامرهم الآن ، ولن تختلف أوامر أى منهم عن الآخر ، فستكون مهمتهم واضحة محدودة .. القضاء على رجل المخابرات المصرى (أدهم صبرى) .

* * *

بدت (منى) شديدة التوتر والعصبية هذا الصباح ، حتى أنها لم تستطع تناول قدح الشاى الخاص بها فى شرفة الفندق هذا الصباح ، ولم تلبث أن عجزت عن كتم توترها ، فسألت (أدهم) فى عصبية :

ـــ هل سنجلس هكذا فى انتظار تحرك الخصوم ؟

رفع (أدهم) قدح الشاى عن شفتيه ، ورفع إليها عينين عابثتين ، وهو يقول فى استهتار :

ـــ ماذا تقترحين أن نفعل يا عزيزتى ؟

صاحت فى حدة :

ـــ أى شىء .. المهم ألا نجلس هكذا .

لاحظت فجأة أنه لا يستمع إليها ، وأن عينيه تتابعان شيئًا ما خلف ظهرها فى اهتمام ، فهمست وهى تسأله فى انفعال :

ـــ ماذا حدث ؟

أجابها وهو يعاود تناول الشاى فى هدوء :

ـــ يبدو أن خصومنا يجيدون التحرك فى سرعة يا عزيزتى .

كادت تلتفت فى حركة غريزية إلى حيث ينظر ، إلا أنه أوقفها قائلاً :

ـــ لا تلتفتى يا عزيزتى ، وسأشرح لك الموقف بالتفصيل .. إنه مجرد رجل يحمل حقيبة دبلوماسية صغيرة ، اتخذ المنضدة التى خلف ظهرك تمامًا ، ولكنه أسند حقيبته إلى ظهر مقعدك .

شعرت بالعرق البارد يتصبب على وجهها ، وهى تسأله فى صوت مرتجف :

ـــ وماذا يعنى هذا ؟

ابتسم فى سخرية ، وأجاب :

ـــ إننى أعرف نوع هذه الحقائب جيدًا يا عزيزتى .. فهى مزودة بقفل إضافى هو فى الحقيقة جهاز ضبط توقيت .

غمغمت فى شحوب :

ـــ جهاز ضبط توقيت ؟!

أجابها فى هدوء يدعو للدهشة :

ـــ بالطبع يا عزيزتى ، إن تلك الحقيبة التى تستند إلى ظهر مقعدك مجرد قنبلة زمنية المقصود بها قتلنا معًا .

* * *

جفت الدماء فى عروق (منى) ، وشحب وجهها ، بعد أن أخبرها (أدهم) بما لديه ، وخرج صوتها فى صعوبة وهى تغمغم :

ـــ دعنا نسرع بالابتعاد ، فربما تنفجر فى أية لحظة .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقال وهو يواصل ارتشاف جرعات الشاى :

ـــ اطمئنى يا عزيزتى .. لن يحين موعد الانفجار إلا بعد أن يغادر صاحب الحقيبة المكان .. فهو لن ينسف نفسه معنا .. ثقى أنه لا يكن لنا كل هذا الحب .

لم يكد يتم عبارته ، حتى نهض صاحب الحقيبة بغتة ، وتحرك نحو باب الشرفة ، وكأنه نسى شيئًا يهم بإحضاره ، فازداد شحوب وجه (منى) على حين نهض (أدهم) من مقعده فى

خفة ، والتقط الحقيبة ، ثم لحق بالرجل ، وجذبه من سترته ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ لحظة أيها الوغد .. لقد نسيت شيئًا يخصك .

كانت عبارة (أدهم) تكفى لأن يفهم الرجل كل شىء ..

وفى لمح البصر كان قد انتزع من سترته مسدسًا ضخمًا ، واستدار فى سرعة هائلة ، ودس فوهته فى معدة (أدهم) ، ثم ضغط الزناد .

* * *





ــ لحظة أيها الوغد .. لقد نسيت شيئًا يخصك .
كانت عبارة (أدهم) تكفي لأن يفهم الرجل كل شيء ..

٤ ــ الانفجــار ..

يقول البعض إن (لندن) مدينة تقليدية لا تتغيَّر أبدًا ، وأنه من العسير أن يشهد المرء فيها أحداثًا مثيرة .. ولكن لا ريب أن نزلاء فندق (ريتز) سيتذكرون طويلًا هذا الصباح ، وسيقصُّون على أقرانهم قصة اليوم الذى شهدت فيه العاصمة البريطانية أعنف أيامها ، وأكثرها إثارة ..

فلم يكد ذلك الانتحاريّ من (الموساد) يدس فوّهة مسدسه فى معدة (أدهم) ، ولم تكد أصابعه تداعب زناد مسدسه ، حتى تحرّك (أدهم صبرى) ليثبت مرة أخرى أنه أبرع رجل مخابرات فى العالم أجمع ..

لقد اتسعت عيون نزلاء فندق (ريتز) ذهولًا ، حينما رأوا (أدهم) يميل جانبًا فى سرعة البرق ، وتقبض يسراه على معصم الانتحاريّ ، وترفعه إلى أعلى ، لتنطلق رصاصة مسدسه فى الهواء ، ثم يطلق يمناه كالقنبلة فى وجه الرجل .

سقط الانتحاريّ وسط المقاعد ، ثم قفز واقفا على قدميه فى

رشاقة عجيبة ، وانتزع من سترته خنجرًا ، شهره فى وجه (أدهم) وسط صراخ الروّاد ، واندفاعهم غير المنظّم إلى خارج الشُرفة ..

قفز الانتحاريّ نحو (أدهم) ، ودفع خنجره نحو عنقه ، ولكن (أدهم) مال برأسه جانبًا ، ثم هبط بقبضته اليسرى فى معدة الانتحاريّ ، وأعقب ذلك فى سرعة البرق بلكمة كالمطرقة فى فكّ الرجل ، وثالثة بين ضلوعه ..

سقط الخنجر من يد الانتحاريّ ، وشهق فى ألم ، حينما ارتفع صوت تحطُّم أحد أضلاعه ، ولكنه عاد يندفع نحو (أدهم) مرة ثالثة ..

كان من الواضح أن الرجل يستحق لقب الانتحاريّ عن جدارة ، فهو لم يتراجع أبدًا ، على الرغم من تحطُّم ضلعه ، وفقدانه أسلحته .. ولكن (أدهم) تلقّى ضربة الرجل على ساعده ، ثم عاد يلكمه فى قوة ، ويدفعه بعيدًا ..

سقط الانتحاريّ فوق حقيبته ، وصرخ غاضبًا ، ثم تنبّه إلى الحقيبة ، فصرخ فى ذُعر :

ــ يا إلٰهى !! الموعد .

لم يكد (أدهم) يسمع هذه العبارة ، حتى قفز نحو (منى) ، ودفعها بعيدًا وهو يهتف :

ــ أسرعى يا (منى) .

وفجأة .. دوّى انفجار شديد فى شرفة فندق (ريتز) .

* * *

تناثرت بعض سحب الدُّخان بعد الانفجار ، وارتفع صوت دوىّ خافت ، وتطلّعت (منى) إلى (أدهم) ، وهتفت فى ذهول :

ــ هل نجونا ؟

استدار (أدهم) إلى الانتحاريّ ، الذى مزقته قنبلته إربًا ، وغمغم فى ضيق :

ــ يبدو هذا يا عزيزتى .. لقد عادت الرسالة إلى صاحبها ، ولقى جزاءه منها .

بدا مشهد الانتحاريّ الممزّق بشعًا ، حتى أن (منى) أخفت وجهها بكفّيها ، وهى تغمغم :

ــ هذا فظيع !!

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

ــ الفظيع هو أنه قد لقى مصرعه ، قبل أن يمكننى استجوابه يا (منى) .

مع آخر حروف كلماته ، اندفع إلى شرفة الفندق ثلاثة من

رجال الشُّرطة البريطانيون ، أسرع أحدهم يفحص الانتحاريّ القتيل ، وصوَّب الثانى مسدسه إلى (أدهم) و (منى) ، على حين توجَّه الثالث إليهما ، وسأل (أدهم) فى برود :

ــ هل يمكنك أن تفسِّر لى ما حدث أيها السيِّد ؟

قال (أدهم) فى لهجة بدت السخرية واضحة فى كلماته :

ــ أعتقد ــ ما لم يخطئنى الظن ــ أنه انفجار أيها الشُّرطى .

لم يفقد الشُّرطى هدوءه ، وهو يسأله :

ــ إننى أسألك عن سبب هذا الانفجار ؟

أشار (أدهم) من خلف ظهره إلى الانتحاريّ القتيل ، وقال :

ــ ربما أن هذا السيِّد قد غضب حتى تفجَّرت الدماء فى عروقه ، أو أنه تناول وجبة دسمة و ....

قاطعه الشُّرطى فى صرامة :

ــ كفى .. أنت تواجه جريمة قتل .

هتف (أدهم) فى استنكار يمتزج بالسخرية :

ــ قتل ؟!.. إن كل ما ارتكبته هو الدفاع عن النفس أيها الشُّرطى .. لقد كانت هذه الحقيبة التى انفجرت حقيبته هو

لا أنا .. والمسدس الذى انطلقت منه الرصاصة يخصّه ، إننى لم أستخدم سوى هاتين .

ورفع قبضتيه الفولاذيَّتيْن أمام عينى الشُّرطى ، الذى أزاحهما فى برود ، وقال :

ــ لماذا حاول قتلك إذن ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ــ أنا رجل أعمال مرموق ، ولى العديد من الخصوم ، الذين ستنتعش ثروتهم لو أنهم أزاحونى من الطريق .

ثم جذب (منى) من ذراعها ، وقال فى صرامة :

ــ هيَّا بنا يا عزيزتى .. لقد سئمت اتهامهم لى دون مبرِّر ..

رفع الشرطى يده معترضًا ، وظهر الغضب فى ملامحه لحظة ، ثم تصلَّبت ذراعه فى الهواء ، وجحظت عيناه ، على حين تفجَّرت الدماء من ثقب صغير بينهما ، ثم سقط جثة هامدة .

* * *

كان (أدهم) و (منى) أول من فهما الأمر ، وتحرَّك (أدهم) فى سرعة ليدفع (منى) بعيدًا عن طريق الرصاصة الثانية ، ثم ركل إحدى الموائد ، فقلبها ، وقفز محتميًا بها وإلى جواره (منى) ، على حين أطلق أحد رجال الشُّرطة مسدسه نحو

البقعة التى ظنَّ أن الرصاصات تأتى منها ، وأسرع الآخر فى جزع إلى جثة زميله ..

قالت (منى) ، وهى تعقد حاجبيها :

ــ إنه انتحاريّ آخر يملك بندقية بعيدة المدى ، مزوَّدة بمنظار مقرِّب .. أليس كذلك ؟

وافقها (أدهم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ لن يمكنهم إصابته من هنا .. فهو يرتكز فوق ذلك المبنى البعيد ، وهو انتحاريّ بحقٍّ ، إذ لا يبالى بكشف أمره مقابل تنفيذ مهمته .

ثم أردف بلهجته التى تجمع ما بين السخرية والحزم :

ــ ولكن هل يمكنه الصمود أمام تلاحم مباشر ؟

قبل أن تفهم (منى) ما يعنيه بعبارته ، كان قد اندفع فجأة من جوارها ، وعَبَر شُرفة الفندق فى قفزة واحدة رائعة ، ثم اختفى خلف بابها .. وعرفت (منى) على الفور أنه يسعى خلف الانتحاريّ الثانى ..

بدا الأمر عجيبًا مثيرًا للدهشة ، أمام أعين روَّاد الفندق ، حينما رأوا (أدهم) ينطلق كالقذيفة إلى خارج الفندق ، ثم يواصل عَدْوه مجتازًا الشارع الواسع ، وسط عشرات من أجهزة

التنبيه الخاصة بسيارات تعبُر الشارع ، واختفى خلف المبنى الضخم المواجه للفندق .

وقف حارس المبنى الضخم يسدّ الطريق أمام (أدهم) ، قائلًا :

ــ إلى أين أيها السيِّد ؟

جاءت إجابة (أدهم) على هيئة لكمة أزاحت الرجل عن طريقه ..

لم يكن لديه ما يكفى من الوقت لشرح الأمور .. كان يعلم كيف يفكِّر الانتحاريون ..

لقد فشل هذا الانتحاريّ فى مهمته ، ولن ينتظر طويلًا حتى يقع فى قبضة الشُّرطة .. سيحاول الهرب .. وعلى (أدهم) أن يلحق به قبل ذلك ..

تجاهل (أدهم) المصعد ، وأسرع يصعد الطوابق العشرة فى سرعة ، ورشاقة ، حتى وجد نفسه يقتحم سطح المبنى ، وكان المكان خاليًا ..

توقَّف (أدهم) فى حذر .. وتفقَّد المكان حوله بنظرة فاحصة خبيرة ، وفجأة .. سمع من فوقه صوت إبرة مسدس من نوع (موريس) يعدّ للإطلاق ، فقفز جانبًا ، فى نفس اللحظة

التى انطلقت فيها رصاصة الانتحارىّ ، من فوق مدخل السطح ..

دار (أدهم) على عقبيه بسرعة مذهلة ، والتقط مسدسه من جيب خفىّ فى سترته ،وأطلق منه رصاصة أطاحت بمسدس الانتحارىّ ..

كان الرجل يستحق لقب الانتحارىّ بحقٍّ .. فلم يكد يفقد مسدسه ، حتى قفز من مكمنه نحو (أدهم) فى جُرأة ، وهو يطلق صيحة تألفها أذن (أدهم) جيّدًا ..

تفادى (أدهم) قفزة الانتحارىّ بحركة بهلوانيّة رائعة ، دار جسده فيها دورة رأسية خلفية ، ثم استقر واقفًا على قدميه ، وارتسمت ابتسامته الساخرة على شفتيه وهو يقول :

ـــ أنت أحد زملاء رياضة التايكوندو إذن(*) .. إنها فرصة لاختبار مهارتى فى اللُّعبة أيها الوغد .

ثم طوّح مسدسه بعيدًا ، ووقف كل منهما فى مواجهة الآخر ، وقد تباعد ساقاهما ، واتخذ تلك الوقفة القتالية الشهيرة

(*) رياضة التايكوندو : نوع مطوَّر من رياضات الدفاع عن النفس ، يجمع اللاعب فيه بين رياضتى الجودو والكاراتيه ، وهو يعدّ أرقى وسائل الدفاع عن النفس حاليًا .

لمصارعة التايكوندو .

وفجأة .. بدأ القتال ..

كان الانتحارىّ هو الذى أطلق الصيحة القتالية الأُولى ، وهو ينقضّ على (أدهم) ، الذى أطلق بدوره صيحة تصاعدت فى سماء لندن كالرّعد ، والتحم مع الانتحارىّ فى قتال عنيف ..

كان الانتحارىّ ماهرًا فى اللّعبة ، ولكن (أدهم) أستاذ فيها .. ولم يطل الوقت قبل أن يكشف الانتحارى ذلك ، فتراجع إلى الخلف فى حركة مفاجئة ، ثم قفز بعيدًا ..

كانت قفزته ماكرة أكثر مما هى ماهرة . وهبط عند مسدس (أدهم) الذى ألقاه عند بداية القتال ، والتقطه ، ثم صوّبه إلى (أدهم) فى حركة ماهرة ..

وفجأة .. دوّى فى المكان صوت أحد رجال الشُّرطة البريطانيين ، وهو يصوّب مسدسه إلى المتصارعيْن ، قائلًا :

ـــ كفى قتالًا ، وليرفع كل منكما ذراعيه إلى أعلى .

تصوّر (أدهم) أن القتال قد توقّف عند هذه النقطة ، ولكن الانتحارىّ ، كان مدرّبًا على ألّا يخسر مهمته ؛ لذا فقد تجاهل قول رجل الشرطة ، وأطلق رصاص المسدس فى إحكام نحو (أدهم صبرى) .

* * *

٥ ـــ سباق مع الزمن ..

ارتفع رنين الهاتف فى مكتب مفتش الشُّرطة البريطانى (ونستون كلارك) ، فالتقط هو سمّاعته ، وقال فى صرامة :

ـــ المفتش (كلارك) من (سكوتلانديارد) .. من المتحدّث ؟

لم يكد يستمع إلى صوت المتحدّث ، حتى امتقع وجهه ، وغمغم فى شحوب :

ـــ نعم يا سيّدتى رئيسة الوزراء .. لقد هرعنا من فورنا إلى مكان الحادث .

صمت بعض الوقت وهو يستمع إلى رئيسة الوزراء البريطانية ، ثم قال فى ارتباك :

ـــ لقد جرت الأمور بسرعة يا سيّدتى ، ولقى الرجل مصرعه على الفور ..

صمت مرة أخرى ، ثم أجاب :

ـــ لقد أصابته الرصاصة فى رأسه و ...

بدا من شحوب وجهه أنه ينال تقريعًا عنيفًا ، وطال الوقت وشحوبه يتزايد ، حتى قال فى لهجة أقرب إلى العصبية :

ـــ كلّا يا سيّدتى .. لم يكن أحدهما بريطانيًّا .. فالقتيل شرقى و ...

عاد يبتر عبارته مرة أخرى ، ويستمع فى صمت وضيق ، ثم قال :

ـــ حسنًا يا سيّدتى .. سأفعل .

ووضع سمّاعة الهاتف فى حنق ، ثم زفر فى ضيق ، والتفت إلى الرجل والفتاة الجالسين أمامه ، وقال فى حِدّة :

ـــ مازلت أنتظر تفسيرك يا سيّد (أدهم) .

تبادل (أدهم) و (منى) نظرات هادئة ، واثقة ، ثم قال (أدهم) :

ـــ جميعكم تطالبوننى بالتفسير يا سيادة المفتش ، على الرغم من حاجتى أنا إليه .

احتقن وجه المفتش (كلارك) ، ومال نحو (أدهم) ، قائلًا فى عصبيّة :

ـــ اسمع يا سيّد (أدهم) .. أنت تتحدّث إلى رجل قضى ثلثى عمره فى التعامل مع الجريمة والمجرمين ، ولن يمكنك أن

تقنعنى أنك مجرّد رجل أعمال عادىّ ، حتى ولو كان جواز سفرك يحمل هذه الصفة .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، فاستطرد المفتش (كلارك) ، وقد تضاعفت عصبيّته :

ـــ لقد رأيتك تقفز بمهارة لا يمكن أن تتوافر لرجل عادىّ ، لتتفادى تلك الرصاصة التى أطلقها عليك ذلك الرجل الآخر .

قفزت الحَيْرة إلى ملامحه على الرغم منه ، وهو يتابع قائلًا :

ـــ ولست أفهم أيضًا طبيعة ذلك الرجل الآخر .. إنه لم يبالِ بوجودنا مطلقًا ، ولم يوقفه نجاحك فى الفرار من رصاصته الأولى .. ولولا أن أطلق عليه أحد رجالنا النار ، وأرداه قتيلًا ، ما توقّف عن محاولاته .

ابتسم (أدهم) فى هدوء دون أن يعقّب ، فواصل المفتش (كلارك) حديثه فى غضب :

ـــ هل تعلم أنك قد أوقعتنا فى مشكلة عويصة أيها المصرى ؟.. إن القانون يحتّم عدم إطلاق النار فى مقتل إلّا للضرورة القصوى .. ولكن ذلك الموقف المذهل الذى رأيناه ، دفع أحد رجالنا إلى إطلاق النار على رأس الرجل الآخر مباشرة ، ممّا أثار

حفيظة رئيسة الوزراء ، وهى تطلب منّا إجراء تحقيق عاجل و ....

قاطعته (منى) فجأة ، على نحو أدهش (أدهم) نفسه ، وهى تقول فى صرامة :

ـــ ما التهمة التى توجّهها إلينا أيها المفتش ؟

تطلّع إليها المفتش فى دهشة ، وقال فى لهجة أرادها صارمة :

ـــ القانون الإنجليزى ....

عادت تقاطعه فى صرامة :

ـــ القانون الإنجليزى لا يعاقب رجلًا حاول الدفاع عن نفسه .. وأنتم لن تجدوا شاهدًا واحدًا ، يمكنه أن يشير إلى السيّد (أدهم) بأصابع الاتهام .. لقد شاهده الجميع يدافع عن نفسه ضد رجل حاول نسفه بحقيبة متفجّرة .. ثم شاهدتموه أنتم وهو يحاول الفرار من رجل يطلق عليه الرصاص ، وكان الرجل هو الذى يحمل المسدس و ....

قاطعها المفتش هذه المرة ، وهو يقول :

ـــ كيف أمكنه كشف الحقيبة المتفجّرة ؟ وكيف اكتسب كل تلك المهارة و .... ؟

صاحت فى غضب :

ـــ هل يمنع القانون البريطانى اكتساب المهارات والفراسة ؟

تلعثم مفتش الشرطة أمام منطقها القوىّ ، وقال فى ارتباك :

ـــ إنه لا يمنع ذلك بالطبع .

ثم تألّقت عيناه فجأة ، وكأنما تذكر أمرًا جديدًا ، وهتف :

ـــ وماذا عن حارس المبنى الذى لكمه السيّد (أدهم) ؟

ابتسمت (منى) ، وقالت :

ـــ عليه أن يتقدّم بشكوى أولًا .

التقط المفتش سمّاعة الهاتف ، وسأل فى لهفة :

ـــ هل تقدّم حارس المبنى بشكوى عن ....

احتقن وجهه وهو يستمع إلى محدّثه ، وهتف فى غضب :

ـــ كيف لم يتقدّم بشكوى ؟ لقد ....

أسرعت (منى) تقول :

ـــ ليس من حقّك الإيعاز بتقديم الشكوى أيها المفتش .

نظر إليها المفتش فى حنق ، ثم ألقى سماعة الهاتف ، قائلًا :

ـــ حسنًا يا سيّد (أدهم) ، إننا لا نتهمك بشىء .. يمكنك الانصراف .

لم يكد (أدهم) و (منى) ينصرفان ، حتى التقط المفتش (كلارك) سمّاعة الهاتف ، وقال فى لهجة حازمة :

ـــ (جارى) سيخرج من مكتبى الآن الرجل الذى أثار القلاقل فى فندق (ريتز) ، وبصحبته صديقته الشابة .. أريد منك أن تتعقّبهما ، ولا تترك لهما فرصة للإفلات .. أريد معرفة كل خطوة يخطوانها حتى يغادرا الجزيرة .

* * *

هتف (أدهم) وهو يعبر الطريق إلى جوار (منى) :

ـــ لقد كنت رائعة يا عزيزتى ، أين تعلّمت كل هذا ؟

ابتسمت فى سعادة ، وهى تقول :

ـــ هل نسيت أننى قد التحقت بالمخابرات من الشُّرطة ، لا من الجيش ؟.. إننا ندرس القانون الدّولى هناك ، والقوانين المتّبعة فى الدول الكبرى .

ربّت على كتفها فى إعجاب ، وقال :

ـــ وماذا عن الرجل الذى لم يتقدّم بشكوى ؟

أجابته وهى تبتسم فى خبث :

ـــ لقد فضّل الحصول على مائتى جنيه أسترلينى ، عِوَضًا عن شكواه .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ــ أنت رائعة هذه المرّة يا عزيزتى .

أجابته فى جدّيّة :

ــ ولكن المهلة تنقص تدريجيًا ، ولم يعد أمامنا سوى يوم واحد للعثور على رأس (الأخطبوط) وتدميره .

أجابها فى هدوء :

ــ يوم وثلاث ساعات ياعزيزتى .

مطّت شفتيها ، قائلة :

ــ هل تكفيك هذه المهلة فى سباقك مع الزمن ؟

فوجئت به يجذبها فجأة من ذراعها ، ويدفعها بعيدًا ، فاستدارت تواجهه فى غضب ، ولكن غضبها لم يلبث أن تحوّل إلى صرخة جزع ، فقد رأت (أدهم) يواجه سيارة اندفعت نحوه بسرعتها القُصْوى فى ظلام الليل .. كان الانتحارىّ الثالث قد بدأ العمل .

* * *

٦ ــ الموت على عجلات ..

بدا المشهد مُذْهِلًا فى عيون المارة .. كانت سيارة الانتحارىّ الثالث تندفع كالقذيفة نحو (أدهم) ، وكان هو ثابتًا فى مكانه كأنما الخوف قد سمّره هناك ..

وعندما أصبحت السيارة على بعد خطوات قليلة من الهدف ، تنبّه الجميع إلى أن (أدهم) لم يكن خائفًا ، وإنما كان مجازفًا .. فقد قفز فجأة إلى أعلى ، واندفع بثقله كله ، محطِّمًا زجاج السيارة الأمامى ، ومرتطمًا بالانتحارىّ الذى يقودها ..

كان من الواضح أن (أدهم صبرى) أكثر شجاعة وانتحارية من ذلك الانتحارىّ المحترف ، الذى فقد سيطرته على عجلة القيادة بعد الاصطدام ، فمالت السيارة على نحو بشع ، وارتطمت بالحائط وسط صراخ المارة ، وتحطّمت مقدمتها ..

ومن العجيب أن أيًّا من قائدها الانتحارىّ ، أو خصمه (أدهم صبرى) لم يبال بالارتطام ، وإنما اشتبكا فى قتال عنيف داخل السيارة المحطَّمة ..



كان من الواضح أن (أدهم صبرى) أكثر شجاعة وانتحارية من ذلك الانتحــارىّ المحــترف ..

كان الانتحارىّ يحاول الوصول إلى مسدسه ، على حين منعته قبضة (أدهم) الفولاذية من ذلك ، عندما لكمه فى قوة هشمت أنفه ، وأسالت دماءه الغزيرة ..

قاوم الانتحارىّ كثيرًا حتى لا يفقد وعيه ، ولكن (أدهم) جذبه من سترته فى قوة ، وسأله فى لهجة تفوق برودة طقس الشتاء ، وصلابة الفولاذ :

ــ ممَّن تلقَّى أوامرك ؟

لا أحد يدرى ما إذا كان الانتحارىّ الثالث سيجيب سؤال (أدهم) أم لا ، فقبل أن تنفرج شفتاه ، ارتفع صراخ المارة مرة أخرى ، وميَّز (أدهم) صرخة واضحة من بين شفتى زميلته (منى) ، فرفع رأسه ينظر عبْر الزجاج الخلفى المحطَّم ، ورأى الموت يندفع نحوه ، على هيئة سيارة أمريكية الطراز ، ضخمة ، لا مجال للشك فى أن قائدها قد اعتزم سحق (أدهم) داخل سيارة الانتحارىّ الثالث المحطَّمة .

* * *

أقسم جميع المارة فى اللحظات التالية ، إن العمل الذى قام به (أدهم) ، يدخل تحت نطاق الأعمال الخارقة للمألوف .. فقد قفز بظهره إلى الوراء ، عبْر زجاج السيارة الأمامىّ المحطَّم ،

ثم قفز واقفًا على قدميه ، فوق مقدمة السيارة .. ولم تكد السيارة الأمريكية الضخمة ترتطم بسيارة الانتحارىّ الثالث ، وقبل أن تسحقها فى الجدار المقابل ، قفز هو قفزة مذهلة جعلته يعتلى سقف السيارة الأمريكية ، التى عاد بها قائدها إلى الخلف فى سرعة ومهارة عظيمتين ، ثم أدار عجلاتها ، وانطلق بها مبتعدًا ، على نحو أخلّ بتوازن (أدهم) ، وأوقعه من فوقها .. ولكن العجيب أن جسد (أدهم) دار حول نفسه فى رشاقة مدهشة ، ليستقرَّ واقفًا على قدميه ، فدارت إليه السيارة مرّة أخرى ، واندفعت نحوه فى إصرار ، وكأن قائدها هو مَلَكُ الموت نفسه ، وقد أبى على نفسه أن يعود صِفْر اليدين ، دون أن يقتنص حفنة من الأرواح يملأ بها جعبته ..

ومرّة أخرى وجد (أدهم) نفسه يواجه الموت على عجلات ، فقفز مبتعدًا عن طريق السيارة الضخمة ، التى زأرت عجلاتها كأنما إفلات (أدهم) من قبضتها يورثها الحَنَق والغضب .. وكادت السيارة ترتدّ إليه ، عندما تعالى صوت أبواق سيارات الشرطة وهى تقترب ، فزادت السيارة الأمريكية من سرعتها ، واندفعت تفرّ من سيارات الشرطة ، التى لم تحاول مطاردتها ، وإنما توقفت أمام (أدهم) تمامًا ، وهبط من أحدها مفتش

الشرطة (ونستون كلارك) ، الذى قفز نحو (أدهم) ، وضاقت عيناه وهو يقول :

ـــ أعتقد أنك قد وقعت هذه المرّة يا مستر (أدهم) .

* * *

انعقدت سحب الدُّخان فى سماء حجرة المفتش (كلارك) ، وهو يشعل سيجارة تِلْو الأخرى ، ويقول فى عصبيَّة :

ـــ ألا تنوى الاعتراف هذه المرّة يا مستر (أدهم) ؟

تدخّلت (منى) قائلةً فى حِدَّة :

ـــ يعترف بماذا أيها المفتش ؟

تطلَّع إليها المفتش (كلارك) فى غضب ، وأطفأ سيجارته العاشرة فى عصبيَّة واضحة ، وهو يسألها :

ـــ هل أنت محامية يا سيِّدتى ؟

قالت فى عناد :

ـــ كلَّا .. ولكن ....

لم يدع لها فرصة إكمال حديثها ، وإنما التفت إلى أحد رجاله ، وقال فى حِدَّة :

ـــ أخرج هذه الفتاة من هنا ، إننى لا أوجِّه إليها أيَّة اتهامات .. يمكنها أن تنصرف .

ابتسم (أدهم) حينما أخرج الرجل (منى) ، وهى تغمغم بعبارات ساخطة ، ثم لم تلبث ابتسامته أن توارت خلف مظهر جاد ، حينما سأله المفتش :

ـــ ألا تنوى إخبارى بالحقائق يا مستر (أدهم) ؟

سأله (أدهم) فى هدوء :

ـــ أيَّة حقائق أيها المفتش ؟

أشعل المفتش سيجارته الحادية عشرة ليخفى انفعاله ، وهو يقول :

ـــ هل سمعت عن (سكوتلانديارد) يا مستر (أدهم) ؟(*)

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ ومن ذا الذى لم يسمع عنها أيها المفتش ؟

اعتدل المفتش فى مقعده ، ونفث دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـــ هذا عظيم .. هل أخبرك أحد من قبل ، أن رجالها يتميَّزون بالغباء ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلًا :

ـــ مطلقًا .. العكس هو الصحيح .

(*) سكوتلانديارد : هى أقوى جهاز للشُّرطة فى العالم ، ومقرها إنجلترا .

مال المفتش نحوه ، وقال فى عصبيَّة :

ـــ لماذا تعاملنا إذن كما لو كنا كذلك ؟

كتم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، حاولت أن تجد طريقها إلى شفتيه ، وهو يتجاهل سؤال المفتش ، قائلًا :

ـــ بمَ تتهمنى أيها المفتش ؟ .. لقد شهد الجميع أننى كنت أدافع عن نفسى هذه المرّة أيضًا .

صاح المفتش فى غضب :

ـــ وشهدوا أيضًا أن مهارتك كانت تفُوق ما يمكن أن يراه المرء فى الأفلام الخيالية .. هل تجد هذا فى صالحك ؟

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى سخرية :

ـــ إنه يثير غرورى .

ضرب المفتش قبضته على سطح مكتبه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ اسمع يا مستر (أدهم) .. لقد تلقَّينا جميعًا تدريبات مكثّفة قبل التحاقنا بهذا الجهاز .. ولقد كنت شخصيًّا واحدًا ممن تلقَّوا تدريبهم فى مقرِّ القوات البريطانية الخاصة .. ولقد رأيت هناك أبطالًا لا يشق لهم غبار ، ولكن أحدهم لم يكن يمتلك مثل مهارتك وليونتك .. وأنا أعلم بحكم خبرتى أن اكتساب مثل تلك المهارة الخرافية ، يحتاج إلى سنوات عدة من

التدريب الشاق المتواصل ، وهذا لا يتأتَّى لرجل أعمال ، يقضى معظم وقته سعيًا وراء صفقات رابحة .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ ربما كنت أنا موهوبًا يا سيِّدى .

تمالك المفتش أعصابه فى صعوبة ، وقال :

ــ أنت محترف يا سيِّد (أدهم) .. وهذا قول خبير لا يخضع للنقاش .. والرجال الثلاثة الذين لَقُوا مصرعهم إلى جوارك محترفين أيضًا . وجنسيتهم المذكورة فى أوراقهم ، إلى جوار جنسيتك تجعلنى أكوِّن رأيًا معقَّدًا فى هذا الأمر .

ثم ازداد ميله نحو (أدهم) ، وهو يستطرد :

ــ إن (لندن) مدينة هادئة يا مستر (أدهم) ، وليست أرضًا صالحة لألعاب الجاسوسية ، وحروب المخابرات .. ربما كانت (هونج كونج) هى الأفضل ، ولكن ليس هنا .

سأله (أدهم) فى هدوء :

ــ ماذا تعنى بأمر المخابرات والجاسوسية هذا أيها المفتش ؟

زفر المفتش فى ضيق ، وقال :

ــ لقد سئمت محاوراتك هذه يا مستر (أدهم) .. سئمتها كلها .

ثم عاد بمقعده إلى الوراء ، متابعًا :

ــ لذا فقد استصدرت أمرًا من رئيسة الوزراء . بإلغاء تأشيرة إقامتك ، ومنعك من الدخول إلى (لندن) مرة أخرى .. ولقد كانت سيادتها كريمة ، فسمحت لك بمغادرة البلاد فى الثامنة من صباح الغد ، أى بعد تسع ساعات من الآن ، وليس أكثر .

وعاد يميل برأسه نحو (أدهم) ، مستطردًا فيما يشبه الشماتة :

ــ وأعدك أن ألقى القبض عليك ، إذا ما بقيت داخل البلاد دقيقة واحدة بعد هذا الموعد ، وفى هذه الحالة سيكون القبض قانونيًّا .

* * *



٧ ــ تسع ساعات ..

جلست (منى توفيق) صامتة فوق مقعد ضخم ، ابتلع جسدها الرقيق ، وهى تراقب (أدهم) ، الذى انهمك فى حديث تليفونى طويل ، يحمل ظاهره بعض التساؤلات عن الحالة الاقتصادية ، وصفقات وهمية ضخمة ، ولكنه لم يكن فى الواقع سوى نوع من أنواع الشفرة الكلامية المعقَّدة ، التى ابتكرها خبراء الشفرة فى المخابرات المصرية ..

ولم يكد (أدهم) ينتهى من حديثه ، حتى سألته (منى) :

ــ هل تعتقد أننا نستطيع تحقيق النتائج المرجُوَّة فى هذه الفترة القصيرة ؟

أجابها وهو يفحص جهازًا صغيرًا بين أصابعه :

ــ هذا يتوقَّف على مهارة الزملاء يا عزيزتى .

عقدت حاجبيها وهى تميل نحوه ، وتسأله فى غضب واضح :

ــ متى يصبح من حقِّى أنْ أُلِمَّ بتفاصيل الخطط المتَّبعة يا (أدهم) ؟

ابتسم ، وقال دون أن يرفع عينيه عن الجهاز :

ــ لن يكون هذا من حقِّك مطلقًا يا عزيزتى .

زفرت فى ضيق ، فقد كانت تعلم أنه على حقّ ، فالقوانين والقواعد شديدة التداخل والتعقيد فى عالم المخابرات ، وكثيرًا ما يكون من الأفضل للعاملين فى هذا الحقل ألَّا يعلم كل منهم إلَّا ما يتعلَّق بدوره فقط ؛ إذ أن هذا يحقِّق مزيدًا من الأمن والانضباط فى أثناء العمل ..

ولكن (منى) لم تستطع كبح فضولها ، وهى تسأله :

ــ إن المهلة الممنوحة لنا قد اختُصِرت إلى تسع ساعات .. ولقد أضعنا منها نحن ساعة كاملة فى الأحاديث الهاتفية ، فهل يمكننى على الأقل أن أعلم سببها .

رفع عينيه إليها ، وقال فى هدوء :

ــ ألَمْ تَرَ وجه قائد تلك السيارة الأمريكية ، التى هدفت إلى سحقى يا عزيزتى ؟

قالت فى اهتمام :

ــ لا .. هل لهذا كل هذه الأهمية ؟

ابتسم فى غموض ، وهو يقول :

ــ عجبًا !! كان وجه القائدة سيفسِّر لك الكثير ؟

اتسعت عيناها ، وهى تهتف فى لهجة توحى بفهمها للأمر :
ــ القائدة ؟!
ابتسم وهو يعاود فحص الجهاز الصغير مغمغمًا :
ــ نعم ياعزيزتى .. إنها صديقتنا القديمة (سونيا جراهام) .

* * *

كانت (سونيا جراهام) شديدة التوتُّر والعصبيَّة هذا المساء .. وكانت تنفث غضبها مع أنفاس سيجارتها ، وهى تتحرَّك فى أرجاء حجرتها فى غضب ، حتى أن (دزرائيل) تردَّد طويلًا قبل أن يسألها فى صوت خافت :
ــ كفاك توتُّرًا أيَّتها الزعيمة .
استدارت إليه (سونيا) فى حدَّة ، وصاحت فجأة وكأنها وجدت ماتنفث فيه غضبها :
ــ كفانى توتُّرًا !!.. ياله من قول غبىّ !.. هل منُى أن أضحك فى سعادة ، أو أنام ملء جفنىّ ، بعد أن ظهر هذا الشيطان المصرى فى العملية ، وتسبَّب فى مصرع ثلاثة من أفضل انتحاريِّينا ؟
صمت (دزرائيل) لحظة ، ثم قال فى ضيق :
ــ توتُّرك لن يبدِّل الأمر كثيرًا ، ثم إنك أخطأت حينما حاولت قتله بسيارتك .

لوَّحت بكفِّها فى غضب ، وقالت :
ــ أنت لا تفهم شيئًا .. لقد فشل رجلان فى قتله .. رجلان تلقَّيا تدريبًا لا يمكن توفيره بسهولة .. فشلا ولقيا مصرعهما أيضًا ، وكان علىَّ أن أتأكد من نجاح الرجل الثالث .. كان هذا ضروريًّا .
أطفأت سيجارتها ، وعادت تلتقط أخرى وتشعلها ، وهى تستطرد فى غلٍّ :
ــ لقد قضينا ثلاثة أعوام كاملة ، نخطط لإنشاء جهاز (الأخطبوط) هذا .. لن يمكنك أن تتصوَّر الأموال التى أنفقت لإعداد ثلاثين انتحاريًّا ، ولا المجهود الذى بُذِل لتحويلهم إلى هذه النوعيَّة من الرجال ، القادرين على تحقيق ما فعله (الكاميكاز) اليابانى فى الحرب العالمية الثانية(*) .. لقد احتاج ذلك إلى عدد لا حصر له من الدراسات النفسية ، والتدريبات القتالية العالية المستوى .. ولقد شعرت بسعادة غامرة حينما أسندت إلىَّ قيادة جهاز (الأخطبوط) ، ولن أسمح بفشله مطلقًا .

(*) الكاميكاز اليابانى : فريق من الطيارين اليابانيين ، اشتهر بهذا الاسم ، وهو يعنى القنبلة الحيَّة .. فقد كانوا ينسفون أنفسهم مع طائراتهم فى أهداف العدوّ ، حينما يفشلون فى إصابتها ، ولقد كبَّدوا قوات الحلفاء خسائر فادحة فى الحرب العالمية الثانية .

غمغم (دزرائيل) فى حنق عجز عن إخفائه :
ــ لقد انخفض عدد انتحاريينا إلى سبعة وعشرين رجلًا فقط ، بسبب إصرارك على محاربة (أدهم صبرى) هذا .
صاحت فى غضب :
ــ إنك لا ترى أبعد من أنفك .
ثم نفثت دُخان سيجارتها فى محاولة لاستعادة هدوئها ، إلَّا أنها بدت شديدة العصبيَّة ، وهى تستطرد :
ــ إن ظهور (أدهم صبرى) على مسرح الأحداث ، قد يعنى هزيمة (الأخطبوط) بأكمله .
صاح فى استنكار :
ــ لا يمكن لرجل واحد أن يهزم تنظيمًا كهذا .
ابتسمت فى سخرية مريرة ، وهى تقول :
ــ إنك لم تتعامل مع (أدهم) بعد .. إنه شيطان .
ثم استطردت فى شراسة لا تتفق وملامحها الجميلة الهادئة :
ــ والحرب مع الشياطين تنتهى دائمًا باشتعال نيران الجحيم .. ولن تخمد هذه النيران إلَّا إذا ابتلعت مايشبعها .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الثانية عشرة والنصف تمامًا ، عندما ارتفع رنين الهاتف فى حجرة (أدهم) بفندق (ريتز) ..

فأسرع يلتقط السمَّاعة ويضعها على أذنه ، وانعقد حاجباه وهو يستمع فى صمت ، و (منى) ترقبه فى اهتمام بالغ ، حتى انفرجت أساريره وهو يغمغم فى سخرية :
ــ شكرًا ياصديقى .. سأحاول إتمام الصفقة قبل الثامنة .
انتظرت (منى) أن يغلق الخط ، ولكنها فوجئت بلهجته تتحوَّل إلى مزيد من السخرية ، وهو يقول :
ــ أتمنَّى لك نومًا هادئًا ، مع ذلك التسجيل لمكالماتى الخاصة أيها المفتش (كلارك) .. طاب مساؤك .
ثم وضع سمَّاعة الهاتف ، وهو يطلق ضحكة هازئة عالية ..
وعلى بعد أمتار قليلة من فندق (ريتز) ، عقد المفتش (كلارك) حاجبيه ، داخل سيارة خاصة صغيرة ، وغمغم فى سخط :
ــ ياللشيطان !!
أمَّا (منى) فقد هتفت فى دهشة :
ــ هل يسجِّلون مكالماتنا ؟
ابتسم وهو يجيبها ، قائلًا :
ــ سيدهشنى إن لم يفعلوا ياعزيزتى .. فصديقنا المفتش

(كلارك) يتقلَّب على جمر الشَّك ، ولن يهدأ له بال حتى يتأكد من أننى أعمل ضمن جهاز المخابرات .. ولن يغمض له جفن حتى يتأكد من مغادرتى الجزيرة البريطانية ، أو يعثر على دليل واحد يمكِّنه من وضعى خلف القضبان .

قال هـذا وارتدى سترته استعدادًا للخروج ، فالتقطت (منى) حقيبتها بدورها ، وشاهدته يدسّ الجهاز الصغير فى جيب سترته ، فسألته فى اهتمام :

ـــ فيمَ يفيد هذا الجهاز ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ إنه واحد من أعظم ابتكارات المكتب رقم (عشرة) فى إدارتنا يا عزيزتى .. ولن يمضى وقت طويل حتى يتبيَّن لك فائدته .

عادت تسأله ، وهى تسرع خلفه إلى الخارج :

ـــ هل يمكننى أن أعلم فحوَى تلك المكالمة على الأقل ؟

توقَّف والتفت إليها ، ثم قال فى هدوء :

ـــ أنت تكثرين من الأسئلة يا عزيزتى .. ولكننى سأخبرك بكل شىء .

أنصتت حوَاسُّها كلها إلى حديثه ، وهو يستطرد :

ـــ لقد كانت الخطَّة الأصلية تعتمد على أن يحاول أحدهم قتلى ، ثم يفشل فيعود إلى مقره .. وفى هذه الحالة كان بعض

زملائنا مستعدِّين لتعقُّبه ، حتى يمكنهم معرفة مقرّ إقامته .. ثم يوصلون جهازًا صغيرًا بهاتفه ، يمكنهم بواسطته معرفة رقم الهاتف الذى يصدر إليه الأوامر ، وهو بالتأكيد مركز قيادة (الأخطبوط) .. ولكن شاء القدر أن يلقى الانتحاريون الثلاثة الذين حاولوا قتلى مصرعهم ، وهنا كادت الخطَّة تفشل ، لولا عصبيَّة صديقتنا (سونيا) ، ومحاولتها سحقى داخل سيارة الانتحاريّ الثالث .. فلم تكد تفرّ بسيارتها الأمريكية من سيَّارات الشُّرطة ، حتى نشط عشرة من رجال المخابرات المصرية لتعقُّبها بشكل لا يمكنها أن تشك فيه ، بما نسميه (التعقُّب المتابع)(*) .. وهكذا أمكنهم التوصُّل إلى محل إقامتها ، وهو بالضرورة مركز القيادة ، لما تتمتع به (سونيا) من مكانة فى أوساط (الموساد) .

سألته (منى) فى انفعال :

ـــ وهل سنذهب إلى هناك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ هل تعلمين أن الوسيلة الوحيدة لشلّ (الأخطبوط) ، هى عضَّة بين عينيه يا عزيزتى ؟..(**) هذا ما سنفعله بالضبط .

* * *

(*) التعقُّب المتابع : وسيلة يتم فيها تبديل الشخص ، أو السيارة المطاردة بتتابع مدروس ، بحيث لا ينتبه المطارَد إلى وجود من يتعقبه .

(**) حقيقة علمية .

٨ ـــ الخـدعة ..

تطلَّعت (منى) فى دهشة إلى السيارة الأنيقة ، التى جلس (أدهم) خلف عجلة قيادتها ، وأسرعت تتخذ مقعدها إلى جواره ، وهى تسأله :

ـــ لست أذكر أننا طلبنا استئجار سيارة .

ابتسم وهو يقول فى سخرية .

ـــ إننا لم نفعل بالتأكيد يا عزيزتى ، ولكنها سيارة خاصة تتبع مكتبنا فى (لندن) .. ولقد تكرَّم أحد الزملاء بوضعها تحت تصرُّفنا فى هذه الليلة .

شعرت بالارتياح ، وهى تقول :

ـــ إنهم فى الإدارة لا ينسون شيئًا .

أجابها فى تأكيد :

ـــ بلا شـك .

ثم انطلق بسيارته أمام عينى المفتش (كلارك) ، الذى هتف فى حنق :

ـــ انطلق خلفه يا (جيمس) .. عجبًا .. لست أذكر أنه كان يقود سيارة .

أجابه (جيمس) مساعده فى لهجة روتينية ، وهو يتبع سيارة (أدهم) :

ـــ لقد جاء بها مصرى آخر ، وقال إنها تخص السيِّد (أدهم صبرى) :

عقد المفتش حاجبيه ، وغمغم :

ـــ هذا الأسلوب المعقَّد يثير مزيدًا من الشكوك فى نفسى ، ويؤكد الرأى الذى ذهبت إليه ، فى أن السيِّد (أدهم) هذا واحد من رجال المخابرات المصرية .

غمغم (جيمس) فى اقتضاب :

ـــ رجال المخابرات لا يعلنون عن أنفسهم بهذا الأسلوب الواضح يا سيِّدى .

قال المفتش (كلارك) فى حنق :

ـــ إنه زعيم عصابة ضخمة إذن .. أو إنه سياسى مهم أو ...

مطَّ (جيمس) شفتيه ، وقال :

ـــ ولمَ لا يكون مجرَّد رجل أعمال ثرى يهوى المغامرة .

هتف (كلارك) فى استنكار :

— يهوى ؟!.. فلتقطع ذراعى إن لم يكن هذا الرجل محترفًا ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه و ....

انقطع هتاف المفتش (كلارك) فجأة ، حينما صاح (جيمس) فى غضب :

— يا للشيطان !!.. ماذا يفعل هذا الرجل ؟

كان (أدهم) فى هذه اللحظة قد انحرف فجأة إلى طريق جانبى ضيّق ، وزاد من سرعته ليضاعف المسافة بينه وبين السيارة المطاردة ، فصاح المفتش (كلارك) :

— لا تفقده حتى ولو تحوّل الأمر إلى مطاردة صريحة .

زاد (جيمس) من سرعة السيارة ، ومال بها فى الطريق الجانبى .. ولم يكد يفعل حتى داس كمّاحة السيارة بكل ما يملك من قوة ، فأصدرت عجلاتها صريرًا عاليًا ، قبل أن تتوقّف على قيد خطوات من سيارة (أدهم) .

قفز المفتش (كلارك) ومساعده من سيارتهما ، وانطلقا نحو سيارة (أدهم) ، وقد شهَر كل منهما مسدسه .. ولكنهما لم يكادا يصلان إليها ، حتى هتف (جيمس) فى ذهول :

— إنها خالية !!

تلفّت المفتش (كلارك) حوله فى حَيْرة وغضب ، ثم غمغم فى سخط :

— كيف غادراها بمثل هذه السرعة .

دار (جيمس) حول السيارة يفحصها فى عناية ، ثم قال :

— إنها سيارتهما ولا شك .. نفس اللون والنوع والرقم ، ولكن أين ذهبا ؟

عقد المفتش (كلارك) حاجبيه فى غضب ، وقال :

— هذا الشيطان المصرى يعبث بنا .. أراهنك أنه يختبئ وزميلته فى مكان ما هنا .

قال (جيمس) ، وهو يفحص المكان ببصره :

— ربما كانت تنتظرهما سيارة أخرى و ....

هزّ المفتّش (كلارك) رأسه فى قوة ، وقال :

— مستحيل .. لم يكن لديهما ما يكفى من الوقت للانتقال إلى سيارة أخرى ، وقيادتها بعيدًا .

أشار (جيمس) إلى المنحنى الآخر للطريق ، وقال :

— ربما كانت تنتظرهما هناك .

قاس المفتش (كلارك) المسافة بعينيه ، ثم هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

— سيكون عليهما فى هذه الحالة أن يعدوا إلى هناك ، وكنا سنراهما بالتأكيد .

ثم استند بكفّه إلى مقدمة سيارة (أدهم) ، وقال فى حنق :

— أيّة خدعة شيطانية هذه ؟

وفجأة .. جذب كفّه عن مقدمة السيارة ، كمن لدغته عقرب ، ورفع عينين غاضبتين إلى مساعده ، وهو يقول فى سخط :

— يا للشيطان !!.. المحرِّك بارد كالثلج .

سأله (جيمس) ، وهو يعقد حاجبيه فى دهشة :

— وماذا فى ذلك ؟

صاح المفتش (كلارك) فى غضب :

— ألم تفهم بعد ؟. لقد خدعنا ذلك الشيطان .. هذه ليست السيارة التى كنا نعقّبها .

* * *

أطلقت (منى) ضحكة عالية ، وقالت :

— يا لها من خدعة طريفة وبسيطة ومبتكرة !! لا ريب أن المفتش (كلارك) يضرب أخماسًا فى أسداس ، فى محاولة البحث عنا .

ابتسم (أدهم) وهو يقود سيارته ، قائلًا :

— إنها واحدة من الأفكار الجديدة يا عزيزتى ، فلن يتصوّر المفتش وجود سيارتين من نفس النوع واللون ، وتحملان رقمًا

واحدًا .. ولن يفهم إلّا بعد فوات الأوان أن تلك السيارة التى ظنّها سيارتنا كانت هناك منذ البداية ، وأننى قد اتخذت خط السير هذا متعمّدًا ، ثم انحرفت فجأة فى الطريق الجانبى ، وتجاوزته بسرعة لأختفى فى الجانب الآخر ، وتركته يتصوّر أننى قد توقفت فى الطريق نفسه .

ثم أردف وهو يهزّ رأسه فى إعجاب :

— ولكن هذا الرجل بالغ الذكاء ، ولست أشكّ فى أنه سيكشف الخدعة بعد وقت قصير .

ضحكت وهى تقول :

— تقصد بعد فوات الأوان .

توقفت سيارة (أدهم) أمام عمارة شاهقة فى قلب العاصمة البريطانية ، فقال وهو يومئ إليها بسبّابته :

— هنا تقيم صديقتنا (سونيا) يا عزيزتى ، وأعتقد أن زيارتنا ستثير دهشتها فى هذا الوقت من الليل .

قالت (منى) فى قلق :

— ولكن هذا النوع من العمارات الفاخرة ، لا يُسْمَحُ بدخوله إلّا بعد استئذان الشخص المراد زيارته ، ولا أعتقد أن (سونيا جراهام) ستسمح لك بذلك .

التقط حقيبته الصغيرة من مقعد السيارة الخلفى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ربما بعد تبديل بسيط فى الملامح ..

قاطعته فى دهشة :

ــ هل ستبدّل ملامحك ؟

ابتسم وهو يقول فى غموض :

ــ لست أنا الذى سيفعل هذه المرّة يا عزيزتى .

* * *



٩ ــ التوءمان ..

جلس حارس العمارة الفاخرة ، التى تقيم فيها (سونيا جراهام) ، يحتسى قدحًا من القهوة ، وتطلّع فى ملل إلى ساعته التى أشارت عقاربها إلى الواحدة والنصف صباحًا ، ثم تثاءب ، والتقط مجلة مصوّرة ، حاول تتبُّع قصصها فى سأم ..

أخرجه رنين جرس البوابة الخارجية من سأمه ، فعقد حاجبيه ، وهو يقول فى تساؤل :

ــ من ذا الذى يحضر فى مثل هذا الوقت ؟

التقط مسدسه ودسّه فى حزامه ، وهو يتوجّه إلى البوابة الزجاجية المغلقة .. ولم يكد يصل إليها حتى رفع حاجبيه فى دهشة ، وأسرع يفتح البوابة ، وهو يسأل الفتاة الواقفة أمامه :

ــ مرحبًا يا سيّدة (سونيا) .. متى غادرت المكان ؟

قالت :

ــ لقد استخدمت مفتاحى الخاص حينذاك و ....

بترت عبارتها حينما لمحت الشك يطل قويًّا من عينى حارس

المبنى ، صحيح أن (أدهم) قد استغلّ كل مهاراته فى (المكياج) ، ليحوّل وجه (منى) إلى توءم (سونيا جراهام) .. ولكن (منى) لم تكن تمتلك تلك الحنجرة المرنة ، التى تتيح لصاحبها تقليد أى صوت يشاء .. كما أن كذبتها كانت مفضوحة للغاية ، فلو أنها استخدمت مفتاحها الخاص فى الخروج ، ما كان هناك ما يمنع استخدامها إيّاه فى العودة ..

ولقد تنبّه حارس المبنى إلى اختلاف الصوت ، وضعف الكذبة ، فأسرع يلتقط مسدسه ، ويصوّبه إلى (منى) ، صائحًا :

ــ أنت لست السيّدة (سونيا) .. ولكننى لست أدرى كيف أمكنك التشبُّه بها إلى هذا الحدّ .

قالت (منى) فى هدوء عجيب :

ــ سأشرح لك الأمر .

تحرّكت يد حارس المبنى إلى زرّ جهاز الاتصال الخاص بشقة (سونيا) ، وقال فى حدّة :

ــ يمكنك أن تشرحى الأمر لصاحبته شخصيًّا .

* * *

لم يستطع حارس المبنى أن يدلى بأقوال واضحة عما حدث

بعد ذلك ، على الرغم من محاولات المفتش (كلارك) المضنية لانتزاع أيّة كلمة من شأنها إدانة (أدهم) .. كل ما قاله الحارس هو أنه كاد يضغط زرّ الاتصال بالفعل ، عندما خُيّل إليه أن فهدًا قد اجتاز البوابة المفتوحة فى سرعة البرق ، ثم وثب عليه ، وألقى كتلة من الحجر على فكّه ، فغاب عن الوعى لتوّه .. ولم تكن كتلة الحجر هذه سوى قبضة (أدهم) الفولاذية ..

كادت (منى) تشهق فى صوت مسموع ، عندما رأت (أدهم) يقتحم البوابة ، ويلكم الحارس فى سرعة مذهلة ، ولكنها تمالكت نفسها ، وقالت وهى تلهث من شدة الانفعال :

ــ يا إلهى !! كدت أموت رعبًا .. إننى لم أحسن تقليد صوت هذه الشيطانة .

جذب (أدهم) الحارس فى سرعة إلى حجرته ، ثم أسرع عائدًا إليها ، وقال :

ــ أريد منك أن تصعدى إلى الطابق السابع ، حيث شقة (سونيا) ، وتنتظرين حتى الثانية والنصف تمامًا ، ثم تقرعين الباب .

سألته فى دهشة :

ــ وماذا أفعل بعد ذلك ؟

ابتسم فى غموض ، وهو يقول :

ــ لا شىء يا عزيزتى .. سأقوم أنا بالباقى .

ضايقها أن يسند إليها هذا العمل التافه ، فسألته فى حنق :

ــ وأنت .. ماذا ستفعل فى هذه الأثناء ؟

بدت ابتسامته شديدة السخرية ، وهو يقول :

ــ سأذهب لزيارة صديقتنا (سونيا) ، ولكننى لن أقرع الباب .

* * *

شعر (دزرائيل) بالتعب يتسلّل إلى جسده ، وبالنُّعاس يداعب جفنيه ، فرفع عينيه المحمرّتين إلى (سونيا) ، التى لم تتوقّف عن دورانها العصبىّ فى أرجاء الشقة ، وقال :

ــ ماذا سيفيدك القلق أيّتها الزعيمة ؟

قالت فى حنق واضح :

ــ إننى أبحث عن وسيلة للقضاء على هذا الشيطان المصرى .

قلّب كفيّه فى حَيْرة ، وقال :

ــ لم يعد لدينا انتحاريّون فى (لندن) .

توقّفت عن الدوران فجأة ، وبرقت عيناها فى شراسة ، وهى تقول :

ــ ولكن لدينا بعضهم دون عمل فى (لكسمبورج) و (أوسلو) .. سأرسل فى استدعائهم إلى هنا و ....

قاطعها (دزرائيل) ، قائلًا :

ــ هذا خطأ أيّتها الزعيمة .

تطلّعت إليه فى دهشة ، ثم صرخت فى غضب :

ــ كيف تجرؤ على نطق هذه الكلمة أيها الغبىّ ؟

يبدو أن هزائم (سونيا) السابقة أمام (أدهم صبرى) قد هزّت صورتها فى رأس رجلها (دزرائيل) ، أو أن رغبته الشديدة فى النُّعاس قد وهبته جُرأة إضافية .. إذ أنه جابهها فى برود ، وقال :

ــ إننا لن نجنّد (الأخطبوط) بأكمله للقضاء على رجل واحد ، هذا لن يرضى الرؤساء .

ضمت ساعديها وهى تشعر ببرودة شديدة ، وقالت :

ــ سأتحمّل النتائج .

أجابها وهو يمطّ شفتيه :

ــ لا أحد يمكنه تحمُّل هذه النتائج أمام الرؤساء .

لوّحت بكفّها فى حنق دون أن تتكلم ، ثم زفرت فى ضيق ، وصاحت فى غضب :

ــ من أين تأتى هذه البرودة القارصة ؟

ودون أن تنتظر جوابًا من (دزرائيل) ، أسرعت إلى حجرة قريبة ، فدفعت بابها ، ونظرت فى غضب إلى نافذتها المفتوحة ، وصرخت :

ــ من ترك هذه النافذة هكذا ؟

وفجأة .. ارتجف جسدها ، وتصلّبت أطرافها ، عندما جاءها صوت ساخر ، يقول فى برود :

ــ معذرة يا عزيزتى (سونيا) .. لقد نسيت إغلاقها خلفى .

استدارت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم صرخت فى ذهول :

ــ (أدهم صبرى) ؟!!!

* * *

١٠ ــ الأفعى ..

لم يدم ذهول (سونيا جراهام) لأكثر من ثانيتين ، قفزت بعدهما نحو (أدهم) فى شراسة ، وهى تطلق صرخة قتالية قوية .. ولكن (أدهم) تفادى ركلتها فى بساطة ثم قبض على كاحلها وجذبه إليه ، فأوقعها أرضًا ، وضحك وهو يقول فى سخرية :

ــ ألَمْ تيئسى بعد من محاولة التغلُّب علىَّ فى قتال يدوىّ يا عزيزتى (سونيا) ؟

اتكأت (سونيا) على أحد المقاعد وهى تنهض فى قهر ، وتقول :

ــ كيف وصلت إلى هنا ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال فى بساطة :

ــ لقد تعرَّضت لثلاث محاولات قتل لم أفهم لها سببًا يا عزيزتى ، حتى كانت المحاولة الرابعة التى أقحمت نفسك فيها .. وهنا قلت لنفسى : إنها صديقتك القديمة (سونيا جراهام) يا (أدهم) ، يبدو أنها قد اشتاقت إليك ، وأرادت أن ترسل لك باقة من زهور الموت .



ولكن (أدهم) تفادى ركلتها فى بساطة ثم قبض على كاحلها ، وجـذبه إليـه ، فأوقعهـا أرضًا ..

ابتسمت فى مرارة ، وقالت :

ــ إنك لن تخدعنى يا (أدهم) .. لقد تعمَّدت الظهور حتى تجذب انتباهنا .. إنك تسعى خلف الـ ....

بترت عبارتها ، حينما تنبَّهت إلى أنها ستكشف السِّرّ لو واصلت الحديث .. وحرَّك (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ إننى لم أتعمَّد الظهور يا عزيزتى .. لقد تركت العمل فى مخابراتنا ، وظننت أن هذا يعطينى الحق فى استخدام اسمى الحقيقى فى تنقُّلاتى .

عقدت حاجبيها وهى تتطلَّع إليه فى شك ، وغمغمت :

ــ تركت مخابراتكم ؟!.. أهى خدعة جديدة ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ وما حاجتى إليها ؟

كانت لُعبة ماهرة من (أدهم صبرى) .. فهو يوحى إليها أنه لا يعلم شيئًا عن جهاز (الأخطبوط)، الذى أنشأه (الموساد) ، كما أنه يحمى عميل المخابرات المصرية هناك أيضًا .. ولكن لماذا تجشُّم كل هذا العناء إذن ؟..

ظل الشك يملأ ملامح (سونيا) وهى تتفرَّس فى ملامحه ، ثم سألته فى حِدَّة :

ــ لماذا تعقَّبتنى إلى هنا إذن ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ ربما أردت التمتُّع برؤية جمالك الفتَّان يا عزيزتى .

دغدغت العبارة حواسها على الرغم منها ، ولكنها احتفظت بملامحها الصارمة ، وهى تقول :

ــ لن يخدعنى هذا أيضًا .

تحوَّلت ملامحه إلى الجدِّيَّة ، وهو يقول :

ــ وربما أردت حسم هذا الأمر أيضًا .

تألَّق بريق مفاجئ فى عينيها ، وهى تقول :

ــ ربما كان الأمر كذلك يا (أدهم) ، وربما كنت قد تركت العمل فى المخابرات المصرية حقًّا .. ولكن الصراع بيننا لن ينتهى إلَّا باختفاء أحدنا من عالم الأحياء .

لم يدر (أدهم) لماذا ذكَّره بريق عينى (سونيا) بعينى الأفعى ، وهى تستعد لمهاجمة فريستها ، وأنبأته غريزته أن ذلك البريق يحمل خطرًا قريبًا ، وقبل أن يتحرك لتبيُّن هذا الخطأ ، سمع صوت (دزرائيل) من خلفه يقول :

ــ يا لها من مفاجأة !! لقد كنت أتشوَّق للقائك منذ زمن يا سيِّد (أدهم) .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت فى حركة حادَّة ، ورأى (دزرائيل) يصوِّب إليه مسدسًا ضخمًا ، وأصابعه تداعب الزِّناد .

* * *

كان الموقف مفاجئًا بحقٍّ .. ولكن المفاجأة كانت من نصيب (دزرائيل) .. إذ استقبل (أدهم) الأمر فى بساطة ، وكأنه كان يتوقَّع ذلك .. وعقد ساعديه أمام صدره ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ وهل جاء اللقاء كما كنت تتوقَّع أيها الوغد ؟

احتقن وجه (دزرائيل) غضبًا ، وراودته فكرة إطلاق النار على (أدهم) ، ولكن (سونيا) التقطت المسدس من يده ، وصوَّبته إلى (أدهم) ، وهى تقول فى شماتة :

ــ والآن يا سيِّد (أدهم) .. هل لك أن تخبرنى بالحقيقة فيما يخص مجيئك إلى هنا ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ حسنًا يا عزيزتى .. سأعترف . لقد تملَّكنى الأرق ، فجئت أستعير منك كتابًا جديدًا و ....

قاطعته فى حِدَّة :

— لن أحتمل سخريتك هذه يا سيِّد (أدهم) ، وأنت تعلم أننى لن أتردَّد فى إطلاق النار .. وهأنتذا ترى أن مسدسى مزوَّد بكاتم للصوت ، أى أنه لن يثير ضجيجًا يخيفنى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أثارت غضب (سونيا) و (دزرائيل) ، ثم جلس فى هدوء على أحد المقاعد ، وقال :

— إنك تدهشيننى يا عزيزتى (سونيا) .. لقد التقينا مرارًا ، وفى كل مرَّة كنت تتوعَّدييننى بالقتل ، ولكنك تحتفظين لنفسك بالهزيمة فى النهاية .

سيطرت (سونيا) على أعصابها ، وهى تقول :

— هل تحاول إثارة أعصابى ؟

اختلس (أدهم) النظر إلى ساعته ، وقال فى لهجة تهكُّمية :

— مطلقًا يا عزيزتى (سونيا) ، ولكننى اكتسبت فى الآونة الأخيرة قدرة خارقة على التنبؤ ، وهذه القدرة تنبئنى أن الهزيمة ستكون من نصيبك فى النهاية .

أطلقت ضحكة ساخرة مفتعلة ، وهى تقول :

— ما رأيك أن أفسد تنبؤك هذا برصاصة واحدة ؟

هزَّ كتفيه فى استهتار ، وقال :

— لن يدهشنى أن تفعلى يا عزيزتى ، كما لن يدهشنى أن يقرع أحدهم جرس بابك فى مثل هذه الساعة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين جرس الباب بالفعل ، وارتجف جسد (دزرائيل) ، وهو يهتف فى ذهول :

— يا للشيطان ؟!

ساد صمت ثقيل بضع لحظات ، وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، على حين عقدت (سونيا) حاجبيها ، وقالت فى توتُّر :

— مجرد مصادفة على الأكثر .

تردَّد (دزرائيل) لحظة ، ثم قال :

— هل أفتح الباب ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

— افعل يا صديقى .. إنك لن تجد (سونيا جراهام) أخرى هناك .

ظلَّ (دزرائيل) على تردُّده ، حتى أومأت له (سونيا) برأسها موافقة ، فتناول مسدسًا آخر ، وأسرع نحو الباب ، وفتحه دفعة واحدة ، ثم تراجع إلى الخلف فى ذُعر ، وصرخ فى ذهول :

— هذا مستحيل ..

فقد كانت أمامه نسخة أخرى من (سونيا جراهام) .

* * *

كانت للمفاجأة التى أعدَّها (أدهم) فى إتقان أثرها ، فقد دوَّت صرخة (دزرائيل) المفعمة بالدهشة فى أرجاء الشقة ، ودفعت (سونيا) الحقيقية دفعًا إلى إدارة وجهها نحو الباب ، لترى ما أثار دهشة رجلها إلى هذا الحدّ .. ولم تكد تفعل حتى اتسعت عيناها عن آخرهما ، وظنت أنها تحدّق فى صورتها المنعكسة على المرآة .. وهنا تحرَّك (أدهم) فى سرعته الفائقة ، ومرونته المذهلة ، فركل المسدس من يد (سونيا) وصفعها صفعة قوية ألقت بها وسط مقاعد الحجرة ، ثم قفز قفزة خرافية ، أوصلته إلى حيث يقف (دزرائيل) مبهوتًا أمام (منى) التى تحمل وجه (سونيا جراهام) .. وفى حركة سريعة مُحكمة أطار المسدس من يده ، ثم أطلق قبضته فى وجهه ، فتحطَّم أنفه ، وألقى به فاقد الوعى ، ثم استدار يواجه (سونيا) ، ولكنه توقَّف فجأة ..

كانت (سونيا) تصوِّب مسدسها إليه ، وعلى وجهها ارتسمت أعنف آيات الكراهية والحقد ، ومن فوَّهة مسدسها انطلقت رصاصة تعرف طريقها جيِّدًا .

* * *

١١ — صراع المحترفين ..

لو أننا قلنا إن (أدهم صبرى) هو أبرع ضابط مخابرات فى العالم أجمع ، فإن العدل يقتضى منَّا أن نقول إن (سونيا جراهام) واحدة ضمن قائمة تضمّ أفضل عشرة أفراد فى عالم المخابرات .. ولكن عصبيَّتها الزائدة ، وغرورها كثيرًا ما يمنعانها من إجادة العمل على الوجه الأكمل ..

هذا ما حدث بالضبط ، عندما أطلقت ، رصاصتها نحو (أدهم) ..

كانت يدها ترتعد غضبًا ، وجسدها يرتجف حنقًا ، حتى أن رصاصتها لم تصب الهدف .. وتحرَّك (أدهم) فى سرعة وحنكة ومهارة ، وقفز نحو (سونيا) ، وأطاح بمسدسها بركلة قوية ، ثم حملها بين ذراعيه كالعصفور ..

صرخت (سونيا) فى ألم وغضب :

— لن تهزمنى هذه المرَّة ..

ولكن (أدهم) ألقى بها فجأة نحو الحائط ، فارتطم به رأسها ، وسقطت فاقدة الوعى .

أسرعت إليه (منى) ، وقالت فى إشفاق :

ــ لقد كنت قاسيًا عليها هذه المرّة يا (أدهم) .

أجابها فى برود :

ــ كان لابدّ أن تفقد وعيها يا عزيزتى .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، وأردف فى جدّيّة تعكس أهمية الأمر :

ــ والآن علينا أن نقلب هذا المنزل رأسًا على عقب خلال ساعة واحدة ، دون أن يبدو أدنى أثر لما فعلناه .

وضاقت عيناه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ فإما أن يؤدى هذا البحث إلى نجاح خطّتنا ، أو نعترف بالفشل .

* * *

كادت عقارب الساعة تشير إلى انتهاء المهلة التى منحها (أدهم) لنفسه ، عندما قالت (منى) :

ــ أعتقد أننى عثرت على شىء ما .

أسرع إليها (أدهم) فى خفة بخلاف عادته ، والتقط رُزْمة الأوراق التى تمسك بها ، وهو يهتف :

ــ أين عثرت عليها يا عزيزتى ؟

أسعدها نجاحها هذه المرّة ، فقالت فى انفعال :

ــ كانت مخبأة فى مهارة داخل إطار النافذة .. وهذا ما أوحى لى بأهميتها .

تفحّص (أدهم) الأوراق فى سرعة ، ثم تألّقت عيناه ببريق الفوز ، وهو يقول :

ــ هذا رائع يا عزيزتى .. إنه أكثر مما كنت أتوقّعه بكثير .

ثم أخرج من جيبه ذلك الجهاز الصغير ، وابتسم وهو يقول :

ــ سترين الآن فائدة جهازنا الصغير يا عزيزتى .

فرد (أدهم) الأوراق فوق المنضدة ، ثم أخذ يعبرها بالجهاز الصغير ، الذى أخذ يصدر أزيزًا خافتًا ، دفع (منى) لأن تسأله :

ــ ماذا يفعل هذا الجهاز ؟

أجابها فى هدوء :

ــ هذه واحدة من فوائده يا عزيزتى ، إنه ينقل صورة طبق الأصل من كل هذه الأوراق ، بنفس الألوان والحجم والترتيب ، ويحتفظ بها داخله ، للإفادة منها عند الحاجة .

سألته فى دهشة :

ــ وفيمَ يختلف عن آلة التصوير الصغيرة ؟

أجابها وهو ينتهى من آخر الأوراق :

ــ إنه يتميّز عنها بأنه يحدّد نوع الورق المستخدم ، وكثافة أحبار الطباعة أيضًا يا عزيزتى .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وقالت :

ــ هو آلة تزييف إذن !!

ابتسم وهو يعيد ضمّ الأوراق بنفس الطريقة السابقة ، وقال :

ــ يمكنك أن تقولى ذلك .

أعادت (منى) الأوراق إلى مكانها فى عناية ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، الذى انهمك فى توصيل قرص صغير بجهاز التليفون ، وقالت :

ــ ألمْ يحُن الوقت بعد لانصرافنا ؟

ابتسم فى غموض ، وهو يقول فى لهجة عابثة أدهشتها :

ــ ومن قال إننا سننصرف يا عزيزتى ؟

* * *

أفاقت (سونيا) من غيبوبتها على صوت طرقات قوية على باب شقتها ، فألقت نظرة سريعة على ساعتها ، وأدهشتها أنها لم

تتجاوز الرابعة صباحًا بعد ، فأسرعت إلى (دزرائيل) تحاول إنعاشه ، وفتح هذا الأخير عينيه فى جزع ، ثم رفع يده إلى أنفه ، وقال فى ألم :

ــ هذا الشيطان .. لقد حطّم أنفى .

صاحت فى وجهه بتوتّر :

ــ أسرع إلى غرفتك أيها الغبىّ .. لقد انصرف ذلك الشيطان المصرى ، وهناك من يقرع بابنا فى هذه اللحظة .

تنبّه (دزرائيل) إلى أن الطرقات العنيفة التى يسمعها لم تكن صادرة من مخه ، فهتف فى ذُعر :

ــ من الطارق ؟

أجابته فى لهجة صارمة حادّة :

ــ أسرع إلى غرفتك ، ودَعْ لى هذا الأمر .

أسرع (دزرائيل) يلبّى الأمر ، على حين عدّلت هى من هندامها ، ثم اتجهت إلى الباب فى ثبات ، وفتحته ..

وجدت أمامها رجلًا متوسط الطول ، حاد النظرات ، أشيب الشعر ، حدجها بنظرة فاحصة طويلة قبل أن يسألها :

ــ هل أنت السيّدة (سونيا جراهام) ؟

أجابته فى غضب :

— هل أيقظتنى من نومى فى مثل هذه الساعة ، لتسألنى هذا السؤال ؟

تجاهل الرجل غضبها ، وقال فى هدوء :

— اسمى (كلارك) .. المفتش (ونستون كلارك) من (سكوتلانديارد) .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى دهشة حقيقية :

— وماذا تريد منّى (سكوتلانديارد) ؟

دلف المفتش (كلارك) إلى الداخل قبل أن تمنعه من ذلك ، وتفحَّص شقتها بنظرات سريعة ، ولم يغب عن عينيه الخبيرتين أثر الشجار الواضح ، إلّا أنه تجاهل كل ذلك وهو يسألها :

— هل تعرفين رجلًا يدعى (أدهم صبرى) ؟

سيطرت على أعصابها بشكل يستحق الإعجاب ، وهى تقول فى لامبالاة :

— لم أسمع اسمه من قبل .

عقد المفتش (كلارك) حاجبيه فى شك واضح ، وغمغم :

— هذا عجيب !!

ثم أردف فى نبرات واضحة قوية :

— إننى أتعقَّب هذا الرجل منذ صباح أمس .. ولقد خدعنى بطريقة ماهرة منذ ساعات ، وأمكنه الإفلات منّى ، ثم

وجدنا سيارته هنا أمام العمارة ، ووجدنا حارس المبنى فاقد الوعى فى حجرته ، وعندما أنعشناه قال إن فتاة تنتحل شخصيتك ، وتحمل ملامحك بالضبط حاولت خداعه ، وإن رجلًا لم يتبيَّن ملامحه أفقده الوعى ، فقدَّرنا أنه قد صعد إلى هنا و ...

قاطعته (سونيا) فى حدَّة :

— لم يحدث هذا .

رفع حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يقول فى هدوء :

— لم نكن نبغى سوى حمايتك على أيَّة حال .. هل لك أن تخبرينا لو وقع بصرك عليه ؟

أجابته فى لهجة من ينهى اللقاء :

— بلا شك .. بلا شك .

غادر المفتش (كلارك) شقتها وقد تضاعفت شكوكه ، والتفت إلى مساعده (جيمس) ، وقال فى حنق :

— إنها تكذب .. ولست أدرى سببًا لذلك .

ثم تلفَّت حوله ، وهتف فى سخط :

— لست أدرى لِمَ يراودنى شعور قوى بأن هذا الشيطان لم يبتعد كثيرًا .. أشعر وكأنه لم يغادر المبنى بعد .. ولن أسمح له بذلك .

* * *

١٢ — القتلة ..

لم يكد المفتش (كلارك) يغادر شقة (سونيا) ، حتى أطلَّ (دزرائيل) برأسه من حجرته ، وهتف :

— هل يتعقَّب الجميع ذلك الشيطان المصرى ؟

بدا الغضب واضحًا على وجه (سونيا) ، وهى تقول :

— لن يغادر (إنجلترا) حيًّا .

ثم تحرَّكت فى خطوات سريعة إلى حجرة المعيشة ، فسألها (دزرائيل) فى قلق :

— ماذا ستفعلين أيَّتها الزعيمة ؟

تجاهلت سؤاله تمامًا وهى تزيل أحد جوانب النافذة ، وتلتقط الأوراق ، ثم فحصتها فى عناية ، وتنهَّدت فى ارتياح .. كان كل شىء فى موضعه تمامًا .. فالتقطت سماعة الهاتف ، وألصقتها بجهاز نقل الصُّور والرسوم هاتفيًّا ، مما دفع (دزرائيل) إلى سؤالها فى دهشة :

— ما هذا ؟

أجابته فى لهجة تحمل كل كراهيتها وإصرارها وعنادها :

— سأرسل لكل انتحارينا مهمة عاجلة ، لها أولويَّة التنفيذ .. سأطلب منهم جميعًا التوجُّه إلى هنا ، والقضاء على (أدهم صبرى) .

* * *

هتفت (منى توفيق) فى سعادة :

— لقد نجحنا .

ابتسم (أدهم) وهو يوقف جهازه الصغير عن العمل ، وقال :

— بقيت خطوة واحدة يا عزيزتى .

سألته فى اهتمام :

— ما هى ؟

أجابها فى هدوء :

— ستعرفين كل شىء عمّا قريب يا عزيزتى .

ضايقها إخفاؤه كل الأمور عنها ، فقالت وهى تتطلَّع إلى الشقة الفاخرة التى يجلسان فيها :

— لقد أثبتت مخابراتنا تفوُّقها هذه المرَّة أيضًا ، عندما نجح رجالنا فى استئجار شقة خالية فى نفس العمارة .. كان هذا قمة البراعة منهم .

ثم عقدت حاجبيها ، وهى تسأله :

ــ ولكن لماذا اضطررنا لكل هذا الخداع لدخول المنزل ، ما دمنا نستأجر إحدى شققه ؟!

أجابها فى بساطة ، وكأنه يصف أمرًا عاديًّا :

ــ لأن حارس المبنى الذى أفقدناه وعيه ، هو الذى قابل المستأجرين ، اللذين انتحلا اسم السيِّد (إبراهيم صقر) وزوجته .. وسيكون من السهل أن يعرف أننا لسنا هما ، وأنا لا أعرف وَجْهَى الزميلين ، اللذين انتحلا هذا الاسم ، حتى يمكننى التنكُّر أنا وأنت فى زيّهما .. ولكن المفيد هو أن حارس المبنى يتبدَّل فى السادسة صباحًا ، وفى هذه الحالة يمكننا مغادرة المبنى على هيئة السيِّد والسيِّدة (صقر) ، دون أن يتعرَّفنا .

ضحكت فى إعجاب ، ثم سألته :

ــ والآن ماذا سنفعل ؟

تطلَّع إليها فى هدوء ، وقال :

ــ عجبًا !! يا عزيزتى !!.. كنت أظنك أذكى من ذلك .. لقد تجاهلت صديقتنا (سونيا) قواعد السرِّيَّة فى عالم المخابرات ، عندما احتفظت بصور وأسماء وأرقام كل من لديها من الانتحاريين .. ولقد حصلنا بدورنا على نسخة منها بواسطة

جهازنا الصغير ، الذى أسهم أيضًا فى نقل كل الرسائل التى أرسلتها فى ثورة غضبها إلى كل رجالها فى أنحاء العالم عن طريق الهاتف .

سألته فى دهشة :

ــ هل تعنى ....؟

ــ بلا شك يا عزيزتى ، لقد حصلنا على أسماء كل الانتحاريين ، ووسيلة إسناد المهام العاجلة إليهم ، ولن نجد وسيلة أفضل من هذه لإنهاء المهمة ، وبتر أذرع (الأخطبوط) كلها فى ضربة واحدة .

ثم أوصل جهازه الصغير بسماعة الهاتف ، وهو يستطرد :

ــ سيمارس هؤلاء الانتحاريون مهمتهم الأساسية ، وسيتلقَّى كل منهم أمرًا عاجلًا بالقتل .. وما دام أحدهم لا يعرف الآخر ، فستنجح مهمتنا ولا شك .

وبدت عيناه صارمتين ، وهو يردف فى صوت بارد :

ــ سيتلقَّى أفراد (الأخطبوط) الانتحاريُّون بعد لحظات أمرًا عاجلًا بتصفية بعضهم البعض .. لقد انتهى (الأخطبوط) يا عزيزتى .

* * *

١٣ ــ الختام ..

أعلنت مكبِّرات الصوت فى مطار (هيثرو) بمدينة (لندن) ، عن قيام طائرة السابعة والنصف صباحًا إلى القاهرة ، وطلبت من ركَّاب الطائرة التوجُّه إليها .. فحمل (أدهم) حقيبته الصغيرة ، وقال لـ (منى) :

ــ هيَّا بنا يا عزيزتى .. لقد انتهت مهمتنا فى (لندن) .

سمع فجأة صوتًا من خلفه ، يقول فى حِدَّة :

ــ لحظة يا سيِّد (أدهم) .

استدار الاثنان إلى مصدر الصوت ، ولم يستطع (أدهم) منع ابتسامة قفزت إلى شفتيه ، حينما وقع بصره على وجه المفتش (كلارك) .. كان الرجل يبدو رثّ الهيئة بشكل يتنافى والتقاليد الإنجليزية العتيقة ، وكان وجهه منتفخًا ، وعيناه متورمتين حمراوين ، مما يؤكد أنه لم يذق طعم النوم منذ زمن طويل ، وأنه يعانى قلقًا بالغًا ..

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى حماس :

ــ كيف حالك يا سيِّدى المفتش ، يسعدنى أن أراك قبل مغادرتى بلادك الجميلة .

لم يبد على وجه المفتش أنه فهم كلمات (أدهم) ، فقد قال فى لهجة أقرب إلى التوسُّل :

ــ أريد أن أفهم يا سيِّد (أدهم) .

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يقول :

ــ تفهم ماذا أيها المفتش ؟

بدا الرجل ضارعًا متوسِّلًا ، وهو يقول :

ــ إننى لا أحملك دليلًا واحدًا يدينك ، على الرغم من كل هذا القلق الذى سبَّبته لى .. ولكننى أريد أن أعرف الحقيقة .. إنها أول قضية أفشل فيها طوال خمس وثلاثين سنة من العمل .

ابتسم (أدهم) وهو يهزّ كتفيه ، قائلًا فى خبث :

ــ كنت أودّ أن أشرح لك الأمر بأكمله يا سيادة المفتش ، ولكن رئيسة وزرائكم أصدرت أمرًا بمغادرتى البلاد قبل الثامنة ، ولو لم ألحق بطائرة السابعة والنصف ، فسأتعرَّض للمساءلة القانونية .

عضّ المفتش على شفتيه قهرًا ، كان يعلم أن (أدهم) يعبث به وبأعصابه ، ولكن رغبته فى المعرفة كانت تفوق عناده ، حتى أنه قال فى توسُّل :

ــ أرجوك يا سيِّد (أدهم) ، لن يعلم أحد بما ستخبرنى به .. ولكننى أحتاج إلى المعرفة ..

صمت (أدهم) لحظة ، تعالى فيها نداء ركاب طائرة السابعة والنصف ، ثم وضع يمناه على كتف المفتش ، وقال فى لهجة جادَّة قوية النبرات ، تفيض بالحماس والحزم :

ـــ تذكَّر هذا دائمًا أيها المفتش .. لقد احتلت بلادكم بلادى طوال سبعين عامًا ، بحجة أننا غير قادرين على حماية أنفسنا .. حاولتم إيهامنا بأنه لا يوجد بيننا أبطال ، ولكن تذكَّر دائمًا أننا قادرون على حماية مصر ، وأبناء مصر ، وأن الشعب الذى بنى الأهرامات ، ونشر الحضارة فى العالم أجمع ، قادر على ردع أعدائه فى كل زمان ومكان .. هل تفهم معنى كلماتى ؟

ارتجف قلب (منى) ، وتدفَّق إليه الحماس مع كلمات (أدهم) ، على حين تنهَّد المفتش (كلارك) فى ارتياح ، وقال وهو يومئ برأسه فى استسلام :

ـــ لقد فهمت يا سيِّد (أدهم) .. لقد فهمت .

ثم استدار يغادر المطار ، وقد انزاح عن كاهله حمل ثقيل ، على حين توجَّه (أدهم) و (منى) إلى الطائرة ، ولم تتمالك (منى) نفسها من فورة الحماس ، فتعلَّقت بذراع (أدهم) وهتفت من أعماقها :

ـــ أنت حقًّا (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩